

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

- جامعة المسيلة

- كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

- قسم: التاريخ

أثر الأوضاع السياسية في تيهرت على الأوضاع

الاقتصادية والاجتماعية

(160 - 296 هـ / 777 - 909 م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص: تاريخ وسيط

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالب:

- محمد الصديق محمودي

- نبيلة قاضي

السنة الجامعية: 1434 - 1435 هـ / 2013 - 2014 م

دعاء

اللهم لا تدعنا نصاب بالغرور إذا نجحنا، ولا نصاب باليأس إذا فشلنا، بل ذكرنا دائما أن الفشل

هو التجربة التي تسبق النجاح...

اللهم علمنا أن التسامح هو أكبر مراتب القوة، وأن حب الانتقام هو أول مظاهر الضعف...

اللهم إذا جردتنا من المال فاترك لنا الأمل، وإذا جردتنا من النجاح أترك لنا قوة العناد حتى

نتغلب على الفشل، وإذا جردتنا من نعمة الصمت أترك لنا نعمة الإيمان...

اللهم إذا أعطيتنا لا تأخذ سعادتنا، وإذا أعطيتنا القوة فلا تأخذ عقلنا، وإذا أعطيتنا نجاحا لا تأخذ

تواضعنا، وإذا أعطيتنا تواضعنا لا تأخذ إعتزازنا بأنفسنا...

اللهم تقبل منا دعاءنا فلا يقبل الدعاء إلا أنت

اللهم إن نسينا فلا تنسانا

إهداء

أحمد الله الكريم الذي بلغني هذا المآل... فالحمد لله

إلى الأيادي الحانية العطوفة... إلى العيون الساهرة الوديمة

إلى القلوب الدافئة المعطاءة... إلى النفوس المبهجة التي أعطت

فما بخلت وتعبت فما كَلَّت... وتفاننت فما تقاعست

إلى والديّ أنبل وأغلى وأعظم... هبة لي في الوجود

إلى أمي... سليلة روحي وبلسم فؤادي حفظها الله

إلى أبي... مهجتي واعتزازي حفظه الله ورعاه

إلى من علموني أن الحياة كفاح والعلم سلاح وحفزوني على اجتياز الصعاب ودفعوني للحياة بكل

إرادة وإصرار إلى مثلي الأعلى في الحياة "إخوتي وأخواتي" مهد الوفاء

إلى كل الأهل والأحباب إلى كل الزملاء والزميلات في الحياة الدراسية خاصة طلبة السنة الثانية

ماستر تخصص تاريخ وسيط وإلى كل أساتذتنا الكرام

إلى كل من قاسمني هذا العمل المتواضع

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

شكر و عرفان

الحمد لله وحده على وافر نعمه وجزيل كرمه، نحمده ونشكره مولانا على توفيقه لنا في إكمال هذا العمل، آملمين منه أن يتقبله منا ويبارك لنا فيه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من اصطنع إليكم معروفا فجازوه، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له، حتى تعلموا أنكم قد شكرتم فإن الله شاكر يحب الشاكرين".

و حين يكون العطاء بلا ثمن، وتكون المتابعة بلا كلل، ويكون التوجيه بلا ملل، حينها أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف "محمودي محمد الصديق"، الذي لم يخل علينا بنصائحه وتوجيهاته، فله منا كل التقدير والاحترام وندعوا له بالتوفيق والصحة والسعادة، بارك الله فيه وفي جميع أعماله وجعل بركة له في الدنيا والآخرة، ووسع رزقه الحلال، وأدامه ذخرا للجيل القادم ياذن الله.

كما أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى كل أساتذتنا المحترمين الذين ذلوا لنا الصعاب ولم يخلوا علينا بالنصائح، نسأل الله العلي القدير أن يجعلها في ميزان حسناتهم.

وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة أو دعاء، وفي الأخير نتمنى من الله أن يرشدنا إلى سواء السبيل ويحقق هدفنا النبيل، فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن الشيطان.

المقدمة

يعتبر المغرب الإسلامي خلال فترة العصور الوسطى مسرحاً للعديد من الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهذا لما شهده من تحولات وتغيرات عميقة ترتب عنها ظهور كيانات سياسية مستقلة عن الخلافة في المشرق، كالدولة المرارية (140-296هـ / 757-909م) والدولة الرستمية (160-296هـ / 777-909م)، والدولة الإدريسية (174-305هـ / 791-918م) والدولة الأغلبية (184-296هـ / 800-909م)، حيث كان لهذه الدول الدور الهام والبارز في التاريخ الإسلامي.

لذلك إرتأينا لدراسة موضوع أثر الأوضاع السياسية في تيهرت على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية (160-296هـ / 777-909م)، نتصدى فيه لدراسة إحدى الدول الإسلامية التي قامت نتيجة للجهود المضنية التي قام بها الخوارج الإباضية، بعد أن تمكنوا من الانتقال بمذهبهم من مرحلة الدعوة إلى مرحلة التطبيق العملي لمبادئهم، فكان انتقال عبد الرحمن بن رستم إلى المغرب الأوسط إيذاناً بظهور الدولة الرستمية، التي أصبحت قوة جديدة لها أثرها البالغ في تشكيل أحداث المغرب كله إلى نهاية القرن الثالث الهجري.

هذه الدولة التي يجهلها الكثير، هي أول دولة إسلامية مستقلة قامت بالمغرب الأوسط، نشأت واستمرت ردحا من الزمن إلى أن سقطت وقدمت للأمة الإسلامية الشيء الكثير، وقد يكون ما قدمته هذه الدولة يفوق ما قدمته الدول المشهورة والمعروفة عند الخاصة والعامة، فهي خدمت الأمة في كثير من الجوانب سواء في الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي أو في الجانب المعماري وحتى الجانب الثقافي.

إلا أنه وللأسف لا نعرف عن هذه الدولة الشيء الكثير، وإذا وصلنا شيء، فهو نزر قليل لا يفى بالتعرف على جميع جوانب هذه الدولة والظروف التي عايشها والخدمات الجليلة التي قدمتها للأمة الإسلامية. وما دفعني لاختيار هذا الموضوع هو التعظيم على هذه الدولة من قبل المصادر التاريخية الذي يعود إلى عدة أسباب، كالصراعات المذهبية وتضارب المصالح السياسية وغيرها من الأسباب.

ونظرا لأهمية الدراسة سلطنا الأضواء على الجانب السياسي للدولة لأنه من المواضيع المهمة التي لها تأثير مباشر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للدولة الرسمية، خاصة في ظل شح المادة التاريخية، أما بالنسبة للإشكالية كانت على الشكل الآتي :

- إلى أي مدى أثرت الأوضاع السياسية للدولة الرسمية في المغرب الأوسط على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وكيف يمكن تبين ذلك التأثير؟

- وقد اندرجت ضمن هذه الإشكالية الرئيسية تساؤلات جزئية هي:

- ما هي الظروف التي قامت فيها الدولة الرسمية؟ كيف وأين نشأت؟

- وما يميز بنائها السياسي؟

- وهل الظروف السياسية فرضت نفسها على الجانب الاقتصادي والاجتماعي بالدولة؟

لعل من بين أهم الأسباب الداعية لاختيار هذا الموضوع ما يمكن إيجازه فيما يلي:

- ما أقدمني على هذا العمل وشجعتني عليه يعود في حاجتنا إلى إحياء تراثنا وإبراز معالم شخصيتنا التاريخية، وذلك للنسيان والإهمال الذي إنتاب تاريخ الدولة الرسمية، وهو جزء من تاريخ الجزائر خاصة وتاريخ العرب والمسلمين عامة.

- قلة الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع، وتجدد الإشارة على وجود بعض الدراسات وإن كانت شحيحة ولم تعطي الموضوع حقه، فهي تبدو مهمة شاقة لهؤلاء الباحثين، باعتبار هذه مرحلة تاريخية غامضة نوعا ما ذلك للعوامل التي ألحقت الضرر بهذه الفترة التاريخية.

- ومن دواعي اختيار هذا الموضوع كذلك لأنه موضوع مهم لما يحمله من جوانب سياسية واقتصادية وأخرى اجتماعية تعلق بهذه الفترة الزمنية من تاريخ الأمة الجزائرية، ومن هنا انصب اهتمامي على هذا الموضوع الذي كان على قدر ملحوظ من الأهمية والبروز.

اقتضت الإجابة عن الإشكالية العامة والتساؤلات الجزئية وكذا طبيعة الموضوع، إتباع آليات المنهج التاريخي وصفا وتحليلا واستنتاجا في بعض أقسام الدراسة.

وتماشيا مع ما توفر لي من المادة العلمية المتاحة، وكذا حرصا مني على إتباع الخطوات المنهجية المعتمدة في البحث، ارتأيت تقسيم هذا الموضوع إلى تمهيد وفصلين اثنين ومقدمة وخاتمة مع ترتيبها ترتيبا موضوعيا، فقد بدأت الدراسة بمقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وإشكالية والأسباب الكامنة وراء اختيار الموضوع والمنهج المتبع والصعوبات وعرض الموضوع ثم نقد لأهم المصادر والمراجع وبعدها دخلت في دراسة الموضوع من خلال المتن الذي بدأته بتمهيد، قبل الدخول في صلب الموضوع، كان لا بد من الإشارة إلى الوضع السياسي للمغرب الأوسط، قبل تأسيس الدولة الرسمية لذلك عنوانته بـ "الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرسمية"، تتبعت فيه أحداث الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وأحداث عصر الولاة، وكيف مهدت سياسة الولاة لانتشار الفكر الخارجي، وما نتج عن ذلك من ثورات البربر التي كانت ممهدة لقيام الدولة الرسمية في المغرب الأوسط.

ثم يأتي الفصل الأول المعنون بـ "الدولة الرسمية سياسيا" اندرج تحته ثلاثة مباحث، حيث جاء عنوان المبحث الأول "قيام الدولة الرسمية" تناولت فيه تأسيس الدولة وامتدادها الجغرافي، ثم استعرضت الأئمة الرسميين الذين تولوا حكم الدولة، أما المبحث الثاني جاء بعنوان "نظام الدولة السياسي" وفيه تطرقت إلى نظام الحكم وطبيعته، ثم يأتي المبحث الثالث حمل عنوان "أهم التطورات السياسية" كمبحث أخير في هذا الفصل بينت فيه أهم الحركات السياسية التي تعرضت لها الدولة الرسمية خاصة في عهد الإمام عبد الوهاب بن رستم.

بينما الفصل الثاني عنوانته بـ "انعكاس الجانب السياسي على الجانب الاقتصادي والاجتماعي" واندرج تحته هو الآخر مبحثان حيث حمل المبحث الأول منه اسم "انعكاس الجانب السياسي على الجانب الاقتصادي" وفيه قد حاولت دراسة ذلك الانعكاس أو التأثير على مرحلتين اثنتين، مرحلة الإزدهار التي نعمت فيها الدولة الرسمية باستقرار سياسي صاحبه ازدهار اقتصادي كان بارز الأثر، فرصدنا ذلك الازدهار على كل الجوانب الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، أما مرحلة التراجع وفيها اضطرب أمن الدولة، بسبب الفتن والثورات وغيرها فتكاثفت الأسباب التي أدت إلى تراجع اقتصاد الدولة.

ثم يأتي المبحث الثاني والذي جاء بعنوان "انعكاس الجانب السياسي على الجانب الاجتماعي"، وبدوره قسمته إلى مرحلتين، فتطرق في مرحلة الإزدهار إلى تركيبة السكان وإلى طبقاته، كما تحدثت عن دور المرأة في حياة المجتمع الرستمي فهي عماد الأسرة في التربية والتوجيه فضلا على أنها كانت ظهر الرجل في كفاحه من أجل دينه ووطنه، ثم أعطيت لمحة مختصرة عن نظام العزابة وما كان له من أثر اجتماعي واقتصادي وحتى ديني. أما بخصوص مرحلة التراجع وفيها تعقد المبنى الاجتماعي في الدولة بسبب تردي الأوضاع وعدم توفر الأمن، كلها عوامل من شأنها أن تؤثر سلبا على الاستقرار السياسي للدولة، وفي وقت قصير اجتمعت الظروف كلها للتمهيد لسقوط الدولة الرستمية على يد الشيعة الفاطميين.

وختم البحث بجوصلة تضمنت جملة من النتائج المتوصل إليها.

وبالنسبة للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة فقد تنوعت مشاربها، تماشيا مع طبيعة الموضوع، أولها المصادر المتخصصة في تاريخ الدولة الرستمية، حيث كان كتاب ابن الصغير (ت 4هـ/ 10م)، "أخبار الأئمة الرستميين" في مقدمة المصادر التي اعتمدت عليها، لأنه من أهم مصادرنا عن الدولة الرستمية، ويعتبر المصدر الأول لتاريخ الأسرة الرستمية، فهو معاصر لأحداث العصر الرستمي الأخير، وشاهد عيان لها، كما استمد معلوماته عن بني رستم الأوائل من معاصريه من شيوخ الإباضية وغير الإباضية، وقد كان ابن الصغير موضوعيا في تاريخه، إذ كثيرا ما أبدى إعجابه بسيرة الراشدين من الأئمة الرستميين ولم يثنه خلافه المذهبي عن الإشادة بسياساتهم، ولم يقدر له أن يشهد نهاية الدولة، إذ يقف تاريخه عند إمامة أبي حاتم يوسف بن محمد.

تناول ابن الصغير في كتابه تاريخ الأئمة الرستميين في تيهرت، ولم يتحدث عن أخبار الدولة خارج تيهرت، وهناك العديد من الأحداث السياسية التي لم يعطها حقها، كمشاركة نفوسة في معركة الواصلية، وأيضا عدم ذكره للحركة الخلفية والنفاثية، ورغم ذلك فقد انفرد عن غيره من المؤرخين بمعلومات قيمة لا نجدها عند غيره من مؤرخي الإباضية وبخاصة المتعلقة بالجانب الاقتصادي والاجتماعي.

وكتاب أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر (ت 471هـ/ 1081م) "سيرة الأئمة وأخبارهم" يعد كتابا من أهم المصادر الخاصة لدراسة التاريخ الإباضي بالمغرب، يحتوي على معلومات مهمة عن دخول المذهب

الإباضي إلى المغرب وتطوره فيه، وعن تاريخ الرستمين وسقوطهم، وعن أحداث دولتهم وقد أفادني كثيرا في مختلف فصول البحث.

أما كتاب أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت 670هـ / 1271م) "طبقات المشائخ بالمغرب"، يعتبر أحد المؤرخين الإباضيين، ينقسم كتابه إلى قسمين وقد استفدت في هذه الدراسة من قسمه الأول، الذي لا يعدوا أن يكون نسخة طبق الأصل لكتاب أبو زكرياء لولا بعض التحسين في الأساليب والعبارات أو بعض الإضافات، إلا أنه زودنا بتفاصيل دقيقة عن أخبار الأئمة الرستمين كما أفادني في الأخبار الاقتصادية التي ورد ذكرها في طبقاته.

أما فيما يخص كتب التاريخ العام فقد اعتمدت على كتاب "العبر" لعبد الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ / 1406م)، يتفق المؤرخون على أن كتاب العبر يعد المصدر الأول الذي يجب الاعتماد عليه في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي، باعتباره موسوعة تاريخية شاملة، غير أن تناوله للدولة الرستمية جاء موزعا بين صفحات كتابه، وهذا دليل على أنه لم يعطي للإباضية أهمية في كتابه، لذلك كان مجال استفادتنا منه محدودا.

كما استفدت من كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذارى المراكشي (ت 721هـ / 1321م) وهو كذلك من أكثر مصادر تاريخ المغرب الإسلامي تفصيلا وإثراءها مادة، وهذا راجع إلى استفادته من تواريخ السابقين له، ومن الملاحظ أنه أفاض في حديثه عن ثورات الخوارج وأسدى خدمة طيبة بإثباته للتواريخ في دقة تامة، كما عدت إلى كتاب "فتوح مصر والمغرب والأندلس" لابن عبد الحكم (ت 257هـ / 871م)، وكتاب "فتوح البلدان" للبلاذري (ت 279هـ / 910م) وغيرها.

بينما المصادر الجغرافية فقد استفدت من كتاب "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" لأبي عبيد البكري (ت 487هـ / 1094م)، فضلا عن قيمته الكبرى في دراسة البلدان ومواقعها والمسالك إليها وغيرها من المعلومات الجغرافية فقد زودنا بمادة تاريخية هامة عن خوارج المغرب.

أما عن المراجع فقد اعتمدت على مجموعة منها ما هو متخصص ومنها من له صلة بالموضوع بشكل أو بآخر وأهمها: كتاب "الدولة الرستمية" لإبراهيم بحاز بكير، فهو يعتبر من المراجع المهمة والمباشرة عن الدولة الرستمية التي لا يمكن الاستغناء عنها في الكتابة عن هذا الموضوع، لذلك كان مجال استفادتنا منه واسعا فقد أفادني تقريبا في كل فصول البحث، خاصة في المجال السياسي والاقتصادي.

كما استفدت من كتابي جودت عبد الكريم يوسف الأول بعنوان "العلاقات الخارجية للدولة الرستمية" والثاني بعنوان "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)"، هذان الكتابان هما عبارة عن دراستين أكاديميتين تقدم بهما الباحث لنييل شهادة الدراسات المعمقة، ثم شهادة الماجستير وقد بذل الباحث فيهما جهودا مضيئة وتوصل إلى نتائج كثيرة ومهمة تخص المغرب الأوسط والدولة الرستمية خاصة.

بالإضافة إلى المراجع السابقة استعنت بمراجع أخرى لا تقل أهمية عن المراجع الأولى ككتاب "تاريخ المغرب الكبير" لمحمد علي دبور، وكتاب "الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري" لمحمود إسماعيل، وكتاب "المغرب الإسلامي" للدكتور موسى لقبال. وكأي بحث واجهتني عدة صعوبات في دراسة هذا الموضوع من بينها:

قلة المصادر المتخصصة التي تتناول هذا الموضوع، وصعوبة التحصل عليها، ككتاب "مسائل نفوسة" للإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، وكذلك "جوابات الإمام أفلح بن عبد الوهاب".

إضافة إلى ذلك، أن المصادر القديمة جملة وحتى الإباضية لم تهتم بشكل مباشر وواضح بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية للدولة الرستمية، بقدر ما أغرقت في ذكر أئمتها وعلمائها ومشايخها وبالتالي فإن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة الرستمية سيظل ناقصا وربما غامضا بالرغم من أهميته في حياة الإنسان.

لا يسعني في الختام سوى أن أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذه الدراسة وأخص بالذكر أستاذي المشرف محمودي محمد الصديق، الذي نفعني بتوجيهاته وآرائه وملاحظاته.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا والله ولي التوفيق.

الفصل التمهيدي:

الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرستمية

قبل التحدث عن الأحوال السياسية للمغرب الأوسط قبيل قيام الدولة الرستمية، لا بد لنا أن نلقي لمحة عن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب أولاً، وعن عصر الولاة، ثم اضطراب أحوال المغرب التي أدت إلى قيام كيان سياسي مستقل المتمثل في الدولة الإباضية الرستمية.

يعتبر الفتح الإسلامي لبلاد المغرب نتيجة حتمية اقتضتها طبيعة الحركة الإسلامية الساعية لنشر الإسلام خصوصاً وأن المغرب في ذلك الوقت كان ولاية من الولايات التابعة للإمبراطورية البيزنطية المعادية للإسلام¹. حيث تركزت المحاولات الأولى للفتح العربي في بلاد المغرب منذ خلافة عمر بن الخطاب، وحتى قيام الدولة الأموية في منطقتي برقة وإفريقية فقط²، ولم تكن هذه المحاولات سوى غارات سريعة لم يحظ المغرب الأوسط بشيء منها³.

وبعد أن استتبب الأمور في يد الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان سنة (41هـ/ 661م) بدأ الفتح المنظم لبلاد المغرب، حيث وضع الفاتح الكبير عقبة بن نافع الفهري في ولايته الأولى (50-55هـ/ 670-675م) أساس الفتح العربي بتأسيس عاصمة المغرب العربي القيروان⁴.

ثم جاء الفاتح حسان بن النعمان (71-86هـ/ 690-704م) فأرسى الوجود الإسلامي في بلاد المغرب⁵، وبه تنتهي مرحلة الفتح الإسلامي التي تميزت بعدم الاستقرار، لتبدأ مرحلة جديدة وهي عصر الولاة وفق تنظيم إداري وضع لبنته الأولى حسان بن النعمان، حيث أصبحت بلاد المغرب إقليمياً من أقاليم الدولة

¹ - أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص33.

² - بعد أن أتم العرب فتح مصر سنة 20هـ على يد عمرو بن العاص فقد كان أول من دخل إفريقية غازياً في زمن عمرو بن الخطاب، استفتح برقة سنة 22هـ، ثم توجه إلى طرابلس وافتتحها سنة 23هـ، وبعدها تطلع إلى فتح إفريقية واستأذن عمر بن الخطاب في ذلك فلم يسمح له، أنظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ج1، ص118، 230، والبلاذري: فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1987م، ص307، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م، ج2، ص405، 427، وابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ليفي بروفنسال وكولان، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ج1، ص8.

³ - محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي - حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس - ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، (د.ت)، ص25.

⁴ - ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص265، والبلاذري، المصدر السابق، ص320، وابن الأثير: المصدر السابق، ج3، ص321، وابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص27.

⁵ - البلاذري: المصدر نفسه، ص321، والرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تح: عبد الله العلي الزيدان وعزالدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص33، وابن أبي دینار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، (د.ت)، ص24، وابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2001م، ج6، ص143، 144.

الإسلامية، فتعاقب عليها عدد من الولاة كان يتم تعيينهم من دمشق عاصمة الخلافة إلى غاية قيام الدولة الأغلبية في إفريقية سنة (184هـ/800م)¹.

فطوال هذه الفترة شهد المغرب أحداثا بارزة هامة شكلت معالمه السياسية والمذهبية، صنعتها طبيعة العلاقة بين البربر والولاة الممثلين للخلافة في المغرب.

وقد كان أول من تولى إمارة بلاد المغرب موسى بن نصير (86-95هـ/704-714م)²، الذي قام بجهود كبيرة لإخضاع قبائل المغرب الأقصى للإسلام³.

وبعد إتمام فتح المغربين الأوسط والأقصى، شرع المسلمون في فتح الأندلس سنة (92هـ/711م)⁴، حيث يقول ابن خلدون: "إن البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة، ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز طارق بن زياد وموسى بن نصير إلى الأندلس"⁵.

ولذلك استهدفت سياسة موسى بن نصير تثبيت سلطان الإدارة الإسلامية في بلاد المغرب، فقرب إليه البربر وأشركهم في الأعمال وفي إدارة البلاد مع العرب⁶.

ويمكننا القول أن مطلع عصر الولاة تميز بالاستقرار والهدوء خاصة في ولايتي كل من محمد بن يزيد القرشي (97هـ/716م)⁷، وإسماعيل بن عبيدة الله بن أبي المهاجر (100هـ/718م)⁸، اللذان عرفا بالعدل والمساواة بين المسلمين جميعا⁹، حتى قال الرقيق القيرواني على إسماعيل بن أبي المهاجر "كان خير وال وخير أمير"¹⁰.

1 - محمد علي: الإشعاع الفكري في عهد الأغلبية والرستميين خلال القرنين 2-3هـ/8-9م، رسالة لنيل الماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008م، ص9.

2 - ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص33، وابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص41، وابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص144.

3 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج2، ص34، وحسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، (د.ت)، ص273.

4 - ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص36، وابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص43.

5 - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص144، وابن الأبار: الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، 1985م، ج2، ص334.

6 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص43، 44.

7 - ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص335، وابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص47.

8 - ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص287، وابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص144.

9 - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص103.

10 - الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص62.

لكن عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز لم يدم طويلا، وبوفاته سنة (101هـ/719م)¹، عادت الإدارة الأموية إلى سياسة الاستبداد بأهل الأمصار المفتوحة عن طريق الولاة والعمال والجبابة². وظهرت مساوئ الإدارة العربية في بلاد المغرب في عهد يزيد بن أبي مسلم الثقفي (102-103هـ/720-721م)³، الذي اشتهر بظلمه وجوره مما أثار غضب أهل المغرب فقتلوه في مصلاه⁴، وكذلك في عهد عبید الله بن الحبحاب السلوي (112-116هـ/734-739م)⁵، الذي عرف بسياسة التقتيل والتنكيل وسي النساء والأطفال، والتلهف على الغنائم التي سلكها مع البربر⁶. وهكذا تسبب الولاة الأمويون في المغرب في إثارة مشاعر الحقد والكراهية عند البربر على الولاة والخلفاء على السواء، مما أوجد مناخا ملائما لانتشار مذهب الخوارج⁷. فقد استغل الخوارج حالة السخط هذه في تأليب الجماعة الإسلامية ضد الحكم الأموي خاصة الفتن السياسية الناجمة عن الخصومات القبلية بين القيسية واليمينية⁸.

1 - ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص56.
2 - عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1999م، ص45.
3 - ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص288، والبلاذري: المصدر السابق، ص324، والرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص64، وابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص48.
4 - ابن عبد الحكم: المصدر نفسه، ج1، ص288، والبلاذري: المصدر نفسه، ص324.
5 - الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص71.
6 - موسى لقبال: المرجع السابق، ص156.
7 - الخوارج: هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان، وقد تفرق الخوارج عشرين فرقة على حد قول البيهقي، وكل منها تخالف الأخرى في تعاليمها كلها أو بعضها، وما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها: إكفار علي وعثمان رضي الله عنهما - والحكمين وأصحاب الجمل، وكل من رضي بتحكيم الحكمين والإكفار بارتكاب الذنوب ووجوب الخروج على الإمام الجائر، وكبار الفرق منهم المحكمة والأزارقة والنجدات والصفيرية والإباضية، أنظر: البيهقي: الفرق بين الفرق، تح: محمد عثمان الخشيت، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص72، وابن حزم الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1996م، ج5، ص20، والشهرستاني: الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1993م، ج1، ص132، 133، وعبد المنعم الحفني: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الرشيد، القاهرة، 1993م، ص215.
8 - حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، 2004م، ص70.

وذلك بسبب التطور السياسي الذي حدث للخوارج في المشرق الإسلامي في أواخر القرن الأول الهجري¹ فقد لجأ الخوارج إلى المغرب العربي لمواصلة نشاطهم السياسي بعيدا عن حاضرة الخلافة، فالتقى البربر مع الخوارج في موقفهم من عدو مشترك ممثل في السلطة الأموية².

وتتفق أغلبية المصادر على تحديد تاريخ الدعاة الخوارج إلى المغرب أثناء ولاية عبيد الله بن الحبحاب أي مع نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني للهجرة، مع كل من سلمة بن سعد الذي كان يدعو إلى الإباضية³، وعكرمة مولى عبد الله بن العباس الذي كان يدعو إلى الصفرية⁴، وهذا ما روته المصادر الإباضية⁵.

وكانت الصفرية والإباضية أكثر مذاهب الخوارج رواجاً في بلاد المغرب وأكثرها اعتدالاً وتسامحاً مع المخالفين⁶، ولأن محور مذهب الخوارج وقوامه على اعتبار أن الإمامة حق متاح لكل مسلم، فقد نشروا دعوتهم تحت شعار الإصلاح والدعوة إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله، فأقبل عليه أهل المغرب واعتنقوه لأنه يتناسب مع وضعهم السياسي والاجتماعي⁷.

¹ - محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1985م، ص24.

² - المرجع نفسه، ص40.

³ - الإباضية: سميت بهذا الاسم نسبة إلى عبد الله بن إباض الذي تعتبره المصادر غير الإباضية مؤسس المذهب الإباضي، أما العلماء الإباضيون فيعتبرون جابر بن زيد الأزدي العماني إمام أهل الدعوة ومؤسس فقهم ومذهبهم، والإباضية هم أشهر فرق الخوارج على الإطلاق لأنهم لا يزالون حتى يومنا هذا يسكنون في عمان وزنجبار وشمال إفريقيا، رغم أتباعها ينفرون جدا من أن يصنفوا مع الخوارج، لأنهم يختلفون معهم في الكثير، فهم لم يغالوا في الحكم على مخالفيهم وهم أقرب إلى أهل مذهب أهل السنة والجماعة، أنظر: البغدادي: المصدر السابق، ص95، 96، وابن حزم: المصدر السابق، ج5، ص51، 56، والشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص157، وعض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ط3، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، الأردن، 1994م، ص09، وسعد رستم: الفرق الكلامية الإسلامية - مدخل ودراسة - ط2، مكتبة وهبة للنشر، القاهرة، 1995م، ص203، ومصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996م، ص130، وصابر طعيمة: دراسات في الفرق - الشيعة، النصيرية، الباطنية، الصوفية، الخوارج - مكتبة المعارف، الرياض، ص149، 150، وأحمد أمين: فجر الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1969م، ص260، 261.

⁴ - الصفرية: هم أتباع زياد بن الأصفر، وكانوا أميل إلى المسالمة، كما كانوا أقرب إلى الاعتدال وأبعد التطرف في أحكامهم، خالفوا الأزارقة والنجدات والإباضية في عدة أمور منها: لم يكفروا القعدة عن القتال، ولم يسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين، وتكفيرهم وتخليدهم في النار، وفاعل الكبيرة عندهم عاص وليس كافرا مشركا، أنظر: الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص159، 160، ومصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص134، ومحمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص72، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، دار الجيل، بيروت - مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م، ج1، ص320.

⁵ - أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م، ص25، 26، والدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر، 1974م، ج1، ص11، 12.

⁶ - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص45.

⁷ - عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص72، وحسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص294.

يبدو أن الأوضاع السياسية التي سادت بلاد المغرب في هذه الفترة تميزت بمعارضة البربر لسلطة الولاة والتي ترجمت إلى ثورات فقد تكاثفت الأسباب لقيام ثورات البربر أو ثورات الخوارج في المغرب العربي¹.
 أهمها ثورة ميسرة المطعري في سنة (122هـ/739م)²، وكانت ثورة بربرية صفرية ممهدة لإنشاء الدولة الصفرية المدراية في سجلماسة سنة (140هـ/757م)³.
 وثورة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليميني الإباضي⁴ سنة (140هـ/757م)⁵،
 الممهدة لإنشاء الدولة الإباضية الرستمية بالمغرب الأوسط سنة (160هـ/777م)⁶، هذه الأخيرة محور دراستنا حيث سنتكلم بالتفصيل عن نشأة هذه الدولة وعن دور الإباضية في تكوينها في الفصل التالي بإذن الله تعالى.

¹ - بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)- دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية- ط2، نشر جمعية التراث، الجزائر، 1993م، ص62.
² - ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص293.
³ - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص45.
⁴ - أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الإباضي ينسب إلى قبيلة معافر الكهلانية اليمينية، نشأ في المشرق وكان من دعاة الإباضية بالشام قبل مجيئه إلى المغرب، وهو أحد طلبة العلم الإباضية الخمسة الذين بعثوا في سنة (132هـ/749م) من طرف الإباضيين في بلاد المغرب، بغرض تلقي العلم في البصرة على يد شيخ الإباضية في المشرق أبي عبيدة، ولما عاودوا أرادوا إعلان إمامة إباضية وأن يعقدوها لأبي الخطاب، أنظر: بوزياني الدراجي: دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، ط2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2002م، ج2، ص107، 108، ومحمود إسماعيل: المرجع السابق، ص64، 65.
⁵ - ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص71.
⁶ - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص72.

الفصل الأول:

الدولة الرستمية (سياسيا)

أولا: قيام الدولة الرستمية

1- تأسيس الدولة

2- الامتداد الجغرافي

3- الأئمة الرستميون

ثانيا: نظام الدولة السياسي

1- نظام الحكم وطبيعته

2- القضاء

3- الولاية

4- بيت المال

5- الجيش

ثالثا: التطورات السياسية

1- النكارية

2- الواصلية

3- تمرد قبيلة هواره

أولاً - قيام الدولة الرستمية:

قامت الدولة الرستمية نتيجة التحولات العميقة في بلاد المغرب، حيث تعد في طليعة الحركات الاستقلالية عن الخلافة العباسية في بلاد المغرب الإسلامي، وهي أول دولة مستقلة بالمغرب الأوسط استطاعت أن تطبق إلى حد كبير المساواة والعدالة بين أهلها.

1- تأسيس الدولة:

لقد عمل الرستميون على تكوين دولة مستقلة في المغرب الإسلامي بعد انتشار أفكارهم في أواسط البربر، فاكتمل الإباضية في البدء بنشاطهم السلمي وحركتهم الدعائية، وحين شعر الإباضية بكثرة عددهم وبقوتهم، بدأ المخاض لميلاد أول دولة إباضية في المغرب بإمامة عبد الله بن مسعود التجيني¹، التي امتدت من سرت إلى قابس، لكن هذه المحاولة قد فشلت أمام عبد الرحمن بن حبيب والي القيروان².

ثم أتاحت لهم فرصة الظهور من جديد، ليبدأ الإباضيون محاولة جديدة لتأسيس دولتهم في القيروان بإمامة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة (140هـ/757م)³، بعد تمكنه من تحرير القيروان من خطر ورفجومة الصفرية⁴، ودخلها سنة (141هـ/758م)⁵، ثم عين عبد الرحمن بن رستم والياً عليها⁶، لكن طموح الإباضية تدد بمقتل أبي الخطاب زعيم إباضية المغرب على يد محمد بن الأشعث سنة (144هـ/761م)⁷.

¹ - موسى لقبال: المرجع السابق، ص168، وجودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1984م، ص25، 26.

² - محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1985م، ص93-95.

³ - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص38، 39، والدرجيني: المصدر السابق، ص26، 27، وشوقي ضيف: عصر الدول والإمارات - الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان - ط1، دار المعارف، القاهرة، 1995م، ص28.

⁴ - ورفجومة: هي بطن من بطون بربر نفاوة البترية وكانوا، من غلاة الصفرية زعيمها عاصم بن جميل، تمكنت من الاستيلاء على القيروان سنة (137هـ/855م) وذلك بعد قتل عاملها عبد الرحمن بن حبيب سنة (140هـ/757م)، أنظر: عيسى الحريري: المرجع السابق، ص66.

⁵ - ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص70، 71.

⁶ - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص41، والدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص29.

⁷ - محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تالوت الثقافية، 2010م، ج3، ص26، 27، وشوقي ضيف: المرجع السابق، ص28.

وبعد هزيمة أبي الخطاب انسحب عبد الرحمن بن رستم من القيروان متجها إلى المغرب الأوسط رفقة ابنه عبد الوهاب وعبد لهما، حتى وصلوا جبل سوفجج المنيع¹، وهناك احتضنته القبائل الإباضية حسب ما ذكره ابن خلدون من لماية ولواتة ونفزاوة²، الذين أكرموا وفادته واستقبلوه بكثير من الإجلال والإكرام وشاع يومئذ ذكره في الآفاق، فوفدت عليه مشيخة الإباضية من العلماء والأعيان وأخذوا في تدبير أمرهم وتنظيم شؤونهم وفكروا في إنشاء دولة لهم³.

خرج ابن رستم في أصحابه يطلبون مكانا منيعا يتخذونه مركزا يثون فيه دعوتهم وينشرون مبادئهم فانتهى بهم المطاف واختاروا أفضل بقعة يستقرون بها في تاهرت أو تيهرت⁴، ثم شرعوا في بناء مدينة تيهرت سنة (144هـ / 762م)⁵، مع الإباضيين الذين انظموا إليه في المنطقة مما يدل على أن المذهب الإباضي كان قد وصل إلى هذه المنطقة قبل التجاء عبد الرحمن بن رستم إليها⁶.

وأما عن اختيار موقع تيهرت ربما ارتبط بالظروف التي واجهت الدولة الرستمية في مطلع تأسيسها وتوضح مميزاتهما في:

1- الموقع الاستراتيجي على اعتبار أن المنطقة كانت منحصرة بين الكتل الجبلية ما قد يجعل من الصعب الوصول إليها، من ناحية الغرب أو الشرق، فهي بعيدة عن الخطر العباسي⁷.

¹ - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص47، والدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص35، وعبد الله الباروني النفوسي: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، (د.ت)، ج2، ص2، 3.

² - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص147.

³ - محمد بلغراد: الحركة الإباضية في تاهرت وسدراتة، مجلة الأصالة، مج16، ع41، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر، 2011م، ص45.

⁴ - تيهرت: مدينة مشهورة من مدن المغرب الأوسط، وهي اسم لمدينتين متقابلتين يقال لإحدهما تيهرت القديمة، والأخرى تيهرت المحدث، وبينهما خمسة أميال، والحديثة مشهورة مسورة لها أربعة أبواب: باب الصفا وباب المنازل، وباب الأندلس وباب المطاحن، وهي في سفح جبل يقال له جزول، ولها قصب مشرفة على السوق يقال لها المعصومة وهي على نهر يأتيها من القبلة يسمى مينة، وفيها جميع الثمار، وهي كثيرة البرد والتلج والأمطار حتى قيل لبعضهم "كم زمان الشتاء عندكم قال ثلاثة عشر شهرا"، وقد وصفها المؤرخون الجغرافيون بعراق المغرب وبلخ المغرب وكان إحداث تيهرت الحديثة بعد سنة 140هـ، أسسها عبد الرحمن بن رستم وبها الإباضية وهم الغالبون عليها، أنظر: ابن حوقل: صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، 1992م، ص93، والمقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م، ص185، والبكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص66، والإصطخري: المسالك والممالك، تح: محمد عبد العال ومحمد شفيق غربال، دار القلم، مصر، 1961م، ص20، 21، وياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج2، ص87، ومجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، (د.ت)، ص178، والحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص126، 127.

⁵ - ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستمييين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص28.

⁶ - محمد عليلي: المرجع السابق، ص17.

⁷ - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص36.

2- تقع تيهرت في منطقة محاطة بقبائل أكثر أفرادها مشهورين بانتمائهم للمذهب الإباضي على حد قول البكري مثل: هوارة وزواغة ومطماطة وزناتة¹.

3- تيهرت منطقة غنية اقتصاديا، فهي تشتهر بثرواتها الزراعية المتنوعة وكثرة مصادر مياهها، وهذا جعلها عاصمة تجارية هامة بين مدن المغرب الكبرى².

وبذلك فقد حرص الإباضية على توفير أسباب البقاء اقتصاديا وحربيا وسياسيا، وحسب الروايات الإباضية أنه لما استأنس الإباضيون بأنفسهم قوة على مجاهدة الأعداء، اختاروا عبد الرحمن بن رستم أميرا عليهم ثم بايعوه بالإمامة بعد استكمال بناء مدينة تيهرت سنة (160هـ/777م) أو سنة (162هـ/778م)³.

وهكذا تكون الدولة الرستمية أول دولة إسلامية في المغرب الأوسط استمرت هذه الدولة الإباضية حوالي 136 سنة، ظلت في الشموخ والرقى منذ أن أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة (160هـ/777م) فكانت حياتها السياسية غنية بالأحداث، ثرية بالوقائع إلى أن سقطت سنة (296هـ/909م).

2- الامتداد الجغرافي:

أما من حيث الامتداد الجغرافي للدولة الرستمية فالمصادر والمراجع لم تحدد بوضوح الرقعة الجغرافية التي امتدت فيها، لأن الدولة الرستمية عرفت حدودا متموجة تمتد أحيانا وتتقلص أخرى، وذلك راجع إلى طبيعة العصر الذي قامت في الدولة والظروف المحيطة بها وإلى طبيعة الدولة في حد ذاتها.

وحسب رأي الدكتور إبراهيم بحاز، فإن أقصى مد لها فهو ما بلغته في عهد الأئمة الثلاثة الأول (160-258هـ/777-875م)، إذ كانت الدولة يحدها شرقا السرت⁴ والدولة الأغلبية، وغربا تلمسان

¹ - البكري: المصدر السابق، ص67، والباروني: المرجع السابق، ج2، ص4.

² - ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص196، والباروني: المرجع نفسه، ج2، ص9.

³ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص30، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص53، والدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص40، والشماخي: كتاب السير، تح: أحمد بن مسعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1992م، ج1، ص124.

⁴ - السرت: مدينة على ساحل البحر الرومي بين برقة وطرابلس، وهي مدينة كبيرة عليها سور طوب وبها جامع وحمام وأسواق ولها ثلاث أبواب قبلي، وجنوبي وباب صغير إلى البحر، ليس حولها أرباض ولهم نخل وبساتين وأبار عذبة، أنظر: البكري: المصدر السابق، ص6.

ونهر الملوية، فما سوى ذلك من الصحراء والمغرب الأوسط فهو داخل ضمن حدودها، وأما فترة الجزر فكانت حدودها تضم الجزء الأوسط إضافة إلى جبل نفوسة¹.

وهناك عدد من المدن في بلدان المغرب العربي كانت تابعة لتيهت سواء بصفة مباشرة، أو عن طريق انتشار المذهب الإباضي بها، وأغلبها في المغرب الأوسط²، وقد ذكرها سليمان الباروني في الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية القسم الثاني مثل: تنس، وهران، والشلف، ومازونة، وتاجنة، غزة، والمدية كلها كانت تابعة لتيهت³.

وعموما يمكننا القول أن الدولة الرستمية لم تضع لنفسها حدودا سياسية مرسومة وإنما جعلت من طبيعة مذهبها وعلاقتها بالجماعات الإسلامية سبيلا جديدا يبين حدودها⁴.

3- الأئمة الرستميون:

تولى الحكم في الدولة الرستمية عدد من الأئمة العدول، يتم اختيارهم من قبل العلماء والرعية، فكانت الدولة الرستمية على نهج الخلافة الراشدة وقد اشتهرت الدولة بعدالة أئمتها وصلاحتهم وتقواهم وعلمهم.

- الإمام عبد الرحمن بن رستم (160-171هـ/776-787م):

عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سام بن كسرى⁵، اختلف المؤرخون حول حقيقة نسبه، منهم من نسبته إلى الفرس وبعضهم أرجعوه إلى أصول عربية، إلا أنه نشأ نشأة عربية، فقد ظهر في العراق مع والديه قبل رحيله مع زوج أمه إلى المغرب بعد وفاة والده⁶.

وحسب المصادر الإباضية أنه تلقى العلوم الدينية وتشبع بأفكار ومبادئ المذهب الإباضي⁷، وعرف باستقامته وحسن سيرته وعدله ومساواته⁸، كان من الفقهاء الإباضيين بإفريقية، وكان معروفا بالزهد والتواضع وكان قاضيا بالقيروان⁹.

¹ - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص108.

² - يحيى بو عزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ج1، ص108.

³ - الباروني: المرجع السابق، ج2، ص55-77.

⁴ - جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص61.

⁵ - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص124.

⁶ - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص35.

⁷ - المصدر نفسه، ص36.

⁸ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص31.

⁹ - الباروني: المرجع السابق، ج2، ص84.

بويوع بالإمامة على تيهرت في سنة (160هـ/777م)¹، فأثرت سياسته انسجاما وأمنا واستقرارا على تيهرت، وعرفت الدولة الرستمية في عهده حالة من الرخاء والازدهار².

- الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن (171-208هـ/787-823م):

تمت مبايعته بعد وفاة أبيه عبد الرحمن بن رستم، بعد إجماع أهل الشورى عليه³، وحسب رواية ابن الصغير فقد كانت مبايعته سببا في نشوء الفتن في عهده في قوله: "...وعلى يديه افتقرت الإباضية، وافتقرت كبراؤهم وتسمى قوم منهم بالنكار، وتسمى منهم قوم بالوهبية...."⁴. فقد كانت "النكارية"⁵ الفتنة الأولى التي طعنت في إمامة عبد الوهاب، ثم "الواصلية"⁶ الفتنة الثانية التي واجهها الإمام، وبفضل شجاعته ودهائه السياسي تمكن من إخماد تلك الفتن وإزالة الخطر، الذي كان يهدد الدولة.

بالرغم من كل ذلك إلا أن في أيامه سارت الدولة نحو الازدهار، فقد كان ملكا ضخما وسلطانا قاهرا على حد قول ابن الصغير: "...اجتمع له من أمر الإباضية وغيرهم ما لم يجتمع للإباضية قبله، ودان له ما لم يدن لغيره..."⁷. وبه يبدأ نظام الوراثة في الحكم.

- الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ/823-871م):

تولى الإمامة بعد وفاة والده مباشرة⁸، تلقى أفلح تكويننا سياسيا وعسكريا على يد والده وبذلك اكتسب مؤهلات جعلته يصل إلى الإمامة⁹.

¹ - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص92.

² - ابن الصغير: المصدر السابق، ص35، 36.

³ - المصدر نفسه، ص43، وأبو زكرياء، المصدر السابق، ص56، والدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص46، والشماخي، المصدر السابق، ج1، ص130.

⁴ - نفسه، ص43.

⁵ - النكارية: هم الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب بن رستم ولما أدخلوا بذلك شغبا في الإسلام سموا (الشغبية) ثم سموا (الملحدة) لأنهم ألدوا في أسماء الله تعالى، أنظر: الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص51.

⁶ - الواصلية: هم أصحاب واصل بن عطاء العزال على رأس المعتزلة، ومن بين قواعدهم نفي صفات الله تعالى والقول بالقدر، والمنزلة بين المنزلتين، أنظر: الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص59، 61.

⁷ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص45.

⁸ - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص85.

⁹ - رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ج3، ص85.

تميز عهده بالازدهار الاقتصادي وتطور الحركة العلمية وهذا ما أشار إليه الأستاذ بحاز، فهو يعتبر عصر أفلح بن عبد الوهاب عصر قوة وعزة وفترة ازدهار الدولة وشبابها¹.

فأصبحت تيهرت في عهد تعرف توسعا في نسيجها العمراني وإقبالا عليها من كل المناطق، فيصورها ابن الصغير بقوله: "...وعمرت معه الدنيا، وكثرت الأموال والمستغلات، وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات، وتنافس الناس في البنيان...."².

وقد عرفت إباضية المغرب في عهده افتراقا آخر سميت هذه الحركة "النفائية"³، ومن أجل الحفاظ على قوة الدولة واستمرارية نفوذها السياسي، استطاع أن يجذب إليه الواصلية بعدما أن كانوا أعداء لوالده بالأمس، فأصبح رئيسا للواصلية إلى جانب كونه رأسا للإباضية والصفيرية⁴.

– الإمام أبو بكر بن أفلح (258-261هـ/871-874م):

بعد وفاة أفلح بن عبد الوهاب ترك إمارة الدولة لابنه أبي بكر⁵ الذي لم يكن على المستوى المطلوب للحاكم الذي يسوس الدولة وهذا ما يذكره ابن الصغير "...فلما ولي أبو بكر لم تكن فيه من الشدة في دينه وما كان فيمن كان قبله من آبائه..."⁶.

وعهد الإمام أبي بكر يعتبر البداية الأولى لضعف الدولة، لأنه لم يستطع أن يسوس القبائل المختلفة⁷ بسبب ضعف شخصيته السياسية وانشغاله بحياة الترف⁸، أسهمت في ظهور الفتن والصراعات الداخلية⁹.

1 - إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص121، ومحمود إسماعيل: المرجع السابق، ص169.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص61.

3 - النفائية: نسبة إلى نفاث بن نصير، وفد إلى تيهرت لتلقي العلم، وكان من أعلام الإباضية وانشقاؤه يعود فيما يبدو إلى طمعه بولاية جبل نفوسة هذه المنطقة التي كانت إحدى أهم مراكز الفكر الإباضي في المغرب، فقد خرج على الإمام وأشهر الطعن فيه، ولما بلغ الإمام خبر نفاث أرسل إليه ينصحه بالتوبة ويتوعدده بالعقاب، لكن نفاث بن نصر رحل إلى المشرق بعد فشل مساعاه فرارا من بطش أفلح، أنظر: أبو زكرياء: المصدر السابق، ص92-96، والدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص77-80.

4 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص148.

5 - لأن أخوه أبو اليقظان كان مقبوض عليه في بغداد، ويعقوب بن أفلح ما زال صغيرا لا ينفع للإمامة، أنظر: عيسى الحريري: المرجع نفسه، ص155.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص71.

7 - إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص122.

8 - جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المجرع السابق، ص66، ورشيد بورويبة: المرجع السابق، ج3، ص87.

9 - السلطة الفعلية كانت بأيدي أبو اليقظان وصهره محمد بن عرفة، حيث قام أبو بكر باغتيال صهره، فنشبت حرب بين أتباع أبو بكر ومناوئيه من العرب وطالبوا بالثأر، أنظر: سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1993م، ج2، ص356.

حتى أنه اضطر إلى مغادرة تيهرت، ثم عاد إليها في أثناء حكم أخيه أبو اليقظان إلى أن توفي بها¹.

- الإمام أبو اليقظان محمد بن أفلح (261-281هـ/874-894م):

بعد أن اعتزل أبو بكر بن أفلح السلطة، وذلك بعدما آلت إليه البلاد من فوضى، استقدم الرستميون أبو اليقظان وبائعوه بالإمامة سنة (261هـ/875م) لأنه كان المؤهل للإمامة².

وبفضل تجربته السياسية التي عاشها في عهد والده أو عهد أخيه³، بالإضافة إلى ما اكتسبه من المشرق استطاع أبو اليقظان أن ينقذ البلاد من الفوضى⁴ ويعيد لها هناءها وازدهارها على ما كانت عليه في عهد أجداده على حد قول أبو زكرياء والدرجيني⁵.

- الإمام أبو حاتم يوسف (281-294هـ/894-907م):

لما توفي أبو اليقظان سنة 281هـ خلفه ابنه أبو حاتم⁶، وبولايته برزت جرثومة النظام الوراثي، المتمثلة في التنافس على الملك أو الإمامة، وهكذا بدأت مفاصد البلاط الرستمي تظهر لتقضي على الدولة⁷، ويبدو أن أبو حاتم قبل ولايته كان تاجرا، وهذا النشاط أكسبه مالا كثيرا، وأفقده الالتزام بكثير من مبادئ المذهب الإباضي⁸.

لذلك واجه الإمام صعوبات حمة في إمامته، فظهرت عدة قوى منافسة له في تيهرت كعمه يعقوب وأخيه يقظان، ولم يستطع أن يقضي على جذور فساد الأسرة الرستمية التي كانت سببا في انتهاء أيامه⁹، وهذا ما ذكره ابن عذارى "...اختلف عليه الناس واضطرب أمره...وقامت بينه وبين أهل تيهرت حروب عظيمة... فأقام ستة أعوام إلى أن قتله بنو أخيه سنة 294هـ"¹⁰.

1 - ابن عذارى: المصدر السابق، ص197.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص85.

3 - جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص68.

4 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص124.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص98، والدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص83.

6 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص223.

7 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص126.

8 - جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص68.

9 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص127.

10 - ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص197.

- الإمام اليقظان بن أبي اليقظان (294-296هـ/907-909م):

بعد مقتل أبي حاتم ارتقى اليقظان بن أبي اليقظان إلى الإمامة، فقاطعته الإباضية، واعتبروا حكمه غصبا فلم ينصروه ولم يقفوا إلى جانبه، وبلغت الأوضاع في الدولة من التديني إلى التدهور¹، واستمرت في عهده الفتن والانقسامات في البيت الرستمي، التي أذنت بخراب الدولة وانهايار أسسها على يد أبي عبد الله الشيعي الذي ساعده الوضع على الانتصار على الرستميين والاستيلاء على عاصمتهم تيهرت (سنة 296هـ/909م)²،

وبه تخذ دولة بني رستم التي طبقت الإمامة حوالي مدة قرن وربع القرن.

ثانيا- نظام الدولة السياسي:

كان الإباضيون قد أنكروا على الأمويين ثم العباسيين استئثارهم بالخلافة وحصرها في بيتهم، فرفعوا شعارا يدعوا لإصلاح نظام الحكم، وأخذوا يطالبون بجعل الخلافة إسلامية، وحددوا واجب الخليفة بأن يتقيد بالكتاب والسنة والاقتداء بالصالحين من الأمة.

1- نظام الحكم وطبيعته:

أسس نظام الحكم في الدولة الرستمية على مبدأ الشورى، أي الانتخاب³، واتخذ حاكم الدولة لنفسه لقب الإمام⁴، والإمام هو الذي يسير شؤون الدولة في أمور الدين والدنيا، ويساعده أهل الحل والعقد من العلماء والفقهاء الإباضيين⁵.

1 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص182.

2 - ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص197.

3 - محمد علي دبور: تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاولت الثقافية، 2010م، ج2، ص289.

4 - علق الخوارج أهمية كبيرة على الإمامة، ورأوا في صلاحها صلاح للأمة، وفي فسادها فساد للأمة، ووضعوا شروطا لها: أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين، ويصح أن تكون من قريش ومن غيرهم، ولو كان عبدا حبشيا، ويجب أن يخضع خضوعا تاما لما أمر الله وإلا وجب عزله، إضافة إلى ذلك، الإسلام والعدل والعلم، والبلوغ والعقل والذكورة فلا تجوز إمامة امرأة، أنظر: ابن حزم: المصدر السابق، ج4، ص5، والبغدادي: المصدر السابق، ص33، 42، 44، والشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص134، وأحمد أمين: المرجع السابق، ص258، 259، وحسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص317.

5 - جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص50.

كما يعتبر الإمام مصدر لجميع السلطات الدينية والسياسية، ويظهر ذلك من خلال النص الذي يرويّه ابن الصغير بقوله: " ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على أنفسنا، فقد علمت أنه لا يصلح أمرنا بالإمام نلجأ له في أمورنا ونحكم عنده فيما ينوب من أسبابنا"¹.

ومما تمتاز به الدولة الرستمية عن غيرها من الدول المجاورة، طريقة تعيين الإمام، الذي كانت تنتخبه جماعة من مشايخ الإباضية، من أهل الخير والصلاح، حيث يجتارون الإمام الأصلح لإدارة شؤون المسلمين، ويراقبون سلوكه وطريقته في تسيير أعمال الدولة، وينظرون في قضية عزله من دون تردد أن هو حاد عن طريق الحق².

لكن الأئمة الرستميون لم يلتزموا بمبدأ الشورى، إذ سرعان ما تحول الحكم إلى ملك وراثي شأن جميع الدول والإمارات الإسلامية الأخرى، مع الإمام الثاني، ويبقى العدل والإحسان، وما التزم به الأئمة الرستميون من مبادئ الإباضية السمحة، وما تميزوا به من صفات التقوى سائدة خلال كل تاريخ الرستميون³.
أما عن التنظيم الإداري فقد اتخذ الرستميون، مستشارون كالوزراء والولاة، والقضاة والقائمين على الشرطة وحفظة لبيت المال ومحتسبون⁴.

2- القضاء:

حاز الجهاز القضائي على قدر كبير من الأهمية، ويتكون من قضاة تتوفر فيهم النزاهة والعدل، وتعيينهم يتم من قبل الإمام بالمشورة، بناء على الاستقامة والصلاح والنزاهة⁵.
حيث كان القاضي في تبهرت هو الشخصية العليا بعد الإمام، وقد كان يتمتع بالنفوذ الأكبر الجاري على الأعيان، وكان حكمه يعم كل الميادين التي ينص عليها القرآن⁶، وكان له دار وسجل وخاتم⁷.

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص30، 31.

2 - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ج3، ص105، وعلي دبوز: المرجع السابق، ج2، ص290.

3 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص117، ومحمود إسماعيل: المرجع السابق، ص156.

4 - مبارك المليبي: المرجع السابق، ج2، ص68.

5 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص229.

6 - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ج3، ص105.

7 - مبارك المليبي: المرجع السابق، ج2، ص69.

3- الولاية:

إستعان الإمام الرستمي بعامل يلي شؤون الأقاليم البعيدة، وكان الوالي يحكم الإقليم باسم الإمام يلي جباية الضرائب، وتحصيل مطالب المال¹، كما ألزم الولاية بضرورة مراعاة فقه المذهب الإباضي في نظام الجباية².

4- بيت المال:

كان للدولة الرستمية كغيرها من الدول العربية الإسلامية الأخرى في ذلك العصر بيت مال مركزي في تيهرت، وبيوت أموال في الولايات التابعة لها وقد كان بجانب بيت المال، دار تعرف بدار الزكاة³. أما عن موارد هذا المال فهي تجبي على حساب قول ابن الصغير من الزكاة والجزية والخراج وغيرها من الضرائب والرسوم⁴، وكان الناتج من تلك الأموال يوزع بصفة خاصة على الفقراء والمساكين، كما كان يدفع على شكل رواتب الإمام ورجال الإدارة في الدولة والعمال⁵.

5- الجيش:

عرفت الدولة الرستمية جيشها المنظم الدائم، الذي يحفظ ثغورها ويشيع الأمن فيها، وتستعمله الدولة في الطوارئ والمفاجئات⁶، وكانت للحكومة جند من العرب والعجم، وحل الاعتماد على القبائل الموالية لها وكان للمائة وحدهم ثلاثون ألف فارس⁷. وتذكر بعض المصادر أن عبد الرحمن بن رستم ضرب الحصار على مدينة طنبنة بجيش عدده خمسة عشر ألف جندي، وبفضل تلك المصادر عرفنا أن أسلحة الرستميين كانت تشتمل على سيوف ورماح ودرق، وأن جنودهم كانوا يلبسون الخوذ والدروع، ويضربون الطبول لحشد الجنود⁸.

1 - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ج3، ص105.

2 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص228.

3 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص237، 238.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص41.

5 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص228.

6 - علي دبوز: المرجع السابق، ج2، ص324.

7 - مبارك الملي: المرجع السابق، ج2، ص69.

8 - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ج3، ص109.

ثالثاً- التطورات السياسية:

اضطربت أحوال الدولة الرستمية بعد عبد الرحمن بن رستم فامتألت بالفتن السياسية والانشقاقات المذهبية والصراع العنصري، إذ تعتبر الفترة التي أعقبت وفاة عبد الرحمن من أخرج الفترات التي مرت بها الدولة الرستمية.

ولما كانت الإمامة تستند إلى الشورى، فإن عبد الرحمن بن رستم جمع قبل وفاته سنة (171هـ / 787م) سبعة من أهل المشورة والرأي الذين تتوفر فيهم شروط الإمامة وفي ذلك اقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهؤلاء السبعة هم ابنه عبد الوهاب، ومسعود الأندلسي، وعمران ابن مروان، وأبو الموفق سعدوس بن عطية، وشكر ابن صالح الكتامي، ومصعب بن سدمان، ويزيد بن فندين¹، وأوصاهم قبل وفاته بالتشاور واختيار إمامهم من بينهم².

تمت مبايعة عبد الوهاب بعد اجتماع مجلس السبعة، بيد أن عملية المبايعة شابهت خلاف حول أحقية كل واحد في الإمامة، يتطور هذا الخلاف فيما بعد إلى انشقاق أدى إلى ظهور بذور حركة المعارضة.

1- النكارية:

تزعم يزيد بن فندين وهو أحد الذين رشحهم عبد الرحمن بن رستم لمنصب الإمامة تيار المعارضة ضد الإمام عبد الوهاب³، وطعن في إمامة عبد الوهاب وسمي أنصاره نكارية لإنكارهم تلك الإمامة⁴، وتكمن الدوافع الأساسية لثورة ابن فندين أنهم كانوا ضد نظام الوراثة في الحكم، فالمبدأ عندهم أن الإمامة شورى بين المسلمين يتولاها أصلح المسلمين لها⁵.

وتشير المصادر الإباضية إلى سبب ثورة النكار، أن عبد الوهاب لما ولى أمور المسلمين عمد إلى رجال ليست لهم رغبة في الولاية فولاهم الأمور⁶.

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص56، والدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص46.

2 - محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص153.

3 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص110.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص50، وأبو زكرياء: المصدر السابق، ص60، والدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص51، والشماخي: المصدر السابق، ج1، ص131.

5 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص116.

6 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص58، والدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص48، والشماخي: المصدر السابق، ج1، ص131، والباروني: المرجع السابق، ج2، ص102.

ويضيف المؤرخون إلى أسباب ثورة ابن فندين، إخفاقه في الوصول إلى منصب الإمامة، وعدم إسناد الإمام عبد الوهاب إليه بعد تولية الإمامة منصبا من مناصب الدولة، التي كان يزيد يتطلع إلى توليتها¹.
ويبدو أن ابن فندين استغل خلاف قبائل مزاتة وسدراتة مع الإمام عبد الوهاب²، وانظم إليهم ونجح في استمالة العديد من الأنصار.

وظل عبد الوهاب يراقب خصومه بجزر شديد، وفي تلك الأثناء حاولوا اغتياله لكنه أحبط مؤامرتهم³، ثم انتهز النكار فرصة غياب الإمام من المدينة وحاولوا الدخول فيها، ولكن أفلح بن عبد الوهاب صدهم عن ذلك بقوته وشجاعته، قتل في المعركة ابن فندين وكثير من أصحابه النكار⁴.

وبذلك زال خطر النكار على الدولة الرستمية، لكن الحزازات والضغائن بقيت في نفوس عشائر من قتلوا في تلك المعركة، وفي نفوس الذين نجوا فيها من القتل⁵.

إلا أن الذي يلاحظ أن حركة النكار خلقت وضعا جديدا في الدولة الرستمية، فقد أعطت الفرصة لجماعات الواسلية من المعتزلة من أهل المغرب أن يناقشوا مسألة الإمامة في الدولة، باعتبارهم من رعايا هذه الدولة، وهذا ما جعل بقايا النكار ينضمون إلى هؤلاء الواسلية في حركتهم، وأصبحت حركة الواسلية المشكلة الثانية التي تهدد الدولة الرستمية بعد ثورة ابن فندين⁶.

2- الواسلية:

تنسب الواسلية إلى المتكلم واصل بن عطاء الغزال(ت131هـ/748م)، وقد شكلت حزبا قويا في الدولة الرستمية⁷ يقدر تعداده في الدولة بثلاثين ألفا يعيشون في بيوت كبيوت الأعراب، وكانت هذه

¹ - علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص411.

² - يقول ابن الصغير: أن سبب الافتراق الأول هو أن القبائل البدوية مثل زناتة وسدراتة تعودت الانتجاع في ضواحي مدينة تيهرت في أشهر الربيع، وفي سنة افتراق اجتمعوا ببعض الوجهاء وعلية القوم فأطلعوهم على تدمرهم من ابتزاز القاضي وصاحب الشرطة وصاحب بيت المال، ورغبوا إليهم أن يطلبوا من الإمام أن يعزلهم فلم يجبههم الإمام إلى طلبهم وبذلك خرجوا المدينة وتوجهوا إلى الكدية المعروفة بكدية النكار، أنظر: ابن الصغير: المصدر السابق، ص48، 49، 50.

³ - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص61، والدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص52، 53، والشماخي: المصدر السابق، ج1، ص133، والباروني: المرجع السابق، ج2، ص110.

⁴ - أبو زكرياء: المصدر نفسه، ص63.

⁵ - محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص124.

⁶ - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص119.

⁷ - الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص59، 60.

الجماعات تتمتع بقدر كبير من الحرية الفكرية في ظل الدولة الرستمية، فاستطاعوا بذلك أن يدعوا لمذهبهم وأن يحتجوا له وأن يناظروا من يريدون حتى ولو كان إمام الدولة نفسه¹.

والواصلية هم قوم من البربر أكثرهم من قبائل زناتة، شرعوا في التحرك عندما أحسوا ببعض الفرقة في الإباضية، وتزعم شاب فيهم رجل منتحل للمناظرة، وحرت بينه وبين الإمام مناظرات كثيرة، ودار القتال أكثر من مرة بين الطرفين².

ولما وجد الإمام عبد الوهاب جدية الواصلية في القتال، بعث إلى جبل نفوسة يطلب منهم المعونة، فأرسلوا إليه جيشا لمساندته في حربه، علاوة على أربعة رجال اشتهروا بالعلم والشجاعة من بينهم مهدي، الذي أثبت تفوقا واضحا في المناظرة على الواصلية، وبعد ذلك اشتعل فتيل القتال بين قوات الإمام عبد الوهاب والواصلية، أسفر عن هزيمة الواصلية³.

3- تمرد قبيلة هوارة:

كما واجه عهد الإمام عبد الوهاب حركة تمرد أخرى أقل خطرا، قامت بها بطون قبيلة هوارة الضاربة جنوبي تيهرت، وحسب رواية ابن الصغير أن تمرد هوارة لم يحدث نتيجة خلاف فقهي حول قضية عامة، وإنما وقع كرد فعل لتنافس بين الإمام عبد الوهاب وبين زعيم الأوس، حول الزواج من إحدى بنات قبيلة لواتة، وانتهى الخصام بينهما بمعركة طاحنة، قتل فيها الكثير من الجانبين⁴.

وكانت آخر الثورات التي واجهت حكم عبد الوهاب حركة خلف بن السمح حفيد أبي الخطاب، الذي أراد أن يتولى ولاية نفوسة بعد وفاة أبيه معتمدا في ذلك على نسبه دون استشارة الإمام أو قبوله⁵، وقد نجح خلف في الاستحواذ على معظم أنحاء الجبل، ومات الإمام عبد الوهاب ومعظم أجزاء الدولة الشرقية بجوزة خلف بن السمح، واستمرت حركة خلف وتفاقم خطرهما خلال نحو عشرين عاما من حكم أفلح بن عبد الوهاب⁶.

1 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 119، 120.

2 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 67.

3 - الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 60-69.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 52-55.

5 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 120.

6 - محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 164، 165.

وهكذا نجح عبد الوهاب في توطيد الدولة الرستمية، وفي الوصول بها إلى أوج اتساعها، وترك لخلفائه دولة قوية الدعائم متينة الأركان.

وفي نهاية هذا الفصل نستطيع القول، أن الأوضاع السياسية للدولة تميزت بالنشاط والحيوية والاستقرار والاضطراب في آن واحد.

ولا بد لنا في الختام أن نتساءل عن الدور الذي لعبته تلك الفتن والاضطرابات وانعدام الاستقرار، في تدهور أحوال البلاد الاجتماعية والاقتصادية.

الفصل الثاني:

إنعكاس الجانب السياسي على الجانب الاقتصادي والاجتماعي

أولاً: إنعكاس الجانب السياسي على الجانب الاقتصادي

1- مرحلة الازدهار (160 - 258هـ / 777 - 872مـ)

2- مرحلة التراجع (258 - 296هـ / 872 - 909مـ)

ثانياً: إنعكاس الجانب السياسي على الجانب الاجتماعي

1- مرحلة الازدهار (160 - 258هـ / 777 - 872مـ)

2- مرحلة التراجع (258 - 296هـ / 872 - 909مـ)

بعد إبرازنا للحياة السياسية في الدولة الرستمية في الفصل الأول، سنتكلم في هذا الفصل عن أثرها العميق في المجتمع التيهري، بجوانبه المتعددة خاصة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

ومما لا شك فيه أن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية كانت تخضع للأوضاع السياسية في الدولة، فتطورها واستقرارها كان مرهونا باستقرار الأوضاع السياسية في الدولة الرستمية.

أولاً- انعكاس الجانب السياسي على الجانب الاقتصادي:

شهدت بلاد المغرب الأوسط في عهد الدولة الرستمية نهوضا اقتصاديا سريعا وتطورا ملموسا، حيث ساعد استقرار هذه المنطقة تحت حكم الرستميين على ازدهارها، بعد أن عانت زمنا طويلا من عدم الاستقرار الاقتصادي، بسبب الاضطراب المستمر والمتواصل الذي عاشته عدة قرون¹، خاصة في الفترة التي سادت عصر الولاة، تلك الاضطرابات كان لها الأثر السيئ على أحوال البلاد الاقتصادية.

1- مرحلة الازدهار (160-258هـ/777-872م):

بعد أن هدأت الأوضاع السياسية في البلاد بقيام الدولة الرستمية مال الناس إلى الاستقرار والطمأنينة²، قدر للبلاد أن تشهد ازدهارا ملموسا في كافة النواحي الاقتصادية³، وهذا قد سائر الفترة الأولى من حياة الدولة الرستمية، التي صاحبت الأئمة الثلاثة الأول عبد الرحمن وعبد الوهاب وأفلح على التوالي، فهم يمثلون سطوة الإمامة وقوتها، وقدرتها على إحباط كافة الحركات المناوئة ذات الطابع المذهبي، سواء بالقوة كما فعل عبد الوهاب، أو عن طريق السياسة كما فعل أفلح⁴، حيث كانوا مثالا للعدل والتزاهة والإخلاص وفي عهدهم تفتحت للدولة أبواب الغنى والثروة⁵.

ولأن العامل الجغرافي كان أساسا في اختيار الموقع الملائم لبناء المدينة⁶، اهتم أئمة الدولة بالجانب الاقتصادي لدولتهم، وسارت عناصر الحياة الاقتصادية، الزراعة والصناعة والتجارة في طريقها نحو التحسن

1 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 143.

2 - المرجع نفسه، ص 143.

3 - محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 273.

4 - المرجع نفسه، ص 306.

5 - محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص288.

6 - إحسان عباس: المجتمع التيهري في عهد الرستميين، مجلة الأصالة، مج17، ع45، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر، 2011م، ص 21.

والازدهار¹، خاصة في عهد الأمام الأول عبد الرحمن بن رستم، الذي كانت سياسته الداخلة ترمي إلى الرقي الاقتصادي والاجتماعي وإقامة دعائم دولة قوية ثابتة².

والحقيقة أن حسن سيرة الإمام وعدالته كانت سببا في الاعتراف به، ليس كإمام لجماعة الإباضية في تيهرت والمغرب فقط، بل وكذلك لإباضية المشرق³، حيث يقول الشماخي "وتواترت أخباره بالمشرق والمغرب، بعث له أهل البصرة بثلاثة أحمال مال"⁴، كما تحدث ابن الصغير عن استقبال عبد الرحمن لمعونة البصرة الأولى وتوزيعها بنفسه على الفقراء والمساكين والسلاح⁵.

بعث هذا نشاطا في المدينة، وبدا الناس في اتخاذ البيوت والقصور، وتغيرت أحوال مدينتهم نحو الأحسن⁶، وهذا ما لاحظته الوفد القادم من البصرة، والذي كان محملا بالمعونة الثانية لأهل تيهرت، ويصور لنا ذلك الباروني في نصه هذا "ودخلوا المدينة فراو هيئتها قد تبدلت ولاح عليها رونق المدينة والملك وعلت وجوه أهلها سيماء الحضارة والرفاهية وبدت من محياهم أثار النعمة والغنى وازينت المدينة بقصور مشيدة... ورأوا ما لم يخطر لهم ببال سمعوه في مجيئهم الأول بحال من الأحوال"⁷.

ونتيجة هذا الرخاء الذي عم البلد أخذ الناس يتنافسون في البناء خاصة في عهد الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب⁸، حيث بلغ ازدهار تيهرت ذروته في أيامه بفضل سياسته الرشيدة، ورجال دولته المجتهدين. انتشرت القبائل حول تيهرت وعمرت العمائر وكثرت الأموال بأيديهم في الحواضر والبوادي⁹، ويظهر ذلك في رواية ابن الصغير "وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات، وتنافس الناس في البناء حتى ابتنى الناس القصور والضياع خارج المدينة..."¹⁰.

1 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 231.

2 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 251.

3 - سعد زغلول: المرجع السابق، ص 303.

4 - الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 125.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 32-35.

6 - الطاهر طویل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط - من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس - ط 1، المتصدر الترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، تلمسان، الجزائر، 2011م، ص 207، 208.

7 الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 90.

8 - الطاهر طویل: المرجع السابق، ص 208.

9 - سعد زغلول: المرجع السابق، ص 341.

10 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 61.

وأقبلت الدنيا على الدولة من كل الأقطار لتمسكها بالدين، والتزام أئمتها بسيرة الخلفاء الراشدين¹، فتوسعت حدودها الخارجية توسيعا كبيرا وآوت عددا أكبر من السكان²، فقال ابن الصغير هذا الصدد "ليس أحد يتزل بهم من الغرباء، إلا استوطن معهم، وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد، وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله، حتى ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري... وهذا مسجد القرويين، وهذا مسجد الكوفيين..."³.

ارتفع مستوى المعيشة بسبب السياسة الحكيمة التي اتبعتها الأئمة الأوائل فعمت الحضارة والرقى الاقتصادي والاجتماعي جميع شرائح السكان⁴.

وباستقرار الأوضاع السياسية في الدولة، سارت عناصر الحياة الاقتصادية نحو الازدهار⁵، فعرفت الدولة ازدهارا في الزراعة والصناعة ورواجا في التجارة، فعمرت أسواقها بالمنتوجات وانتظمت القوافل في كل النواحي والأقطار⁶.

أ- الزراعة:

كانت الأوضاع الزراعية مستقرة إلى حد كبير وذلك نتيجة الاستقرار السياسي العام الذي شمل المغرب آنذاك، ونظرا لانعدام الإضرابات السياسة الخطيرة داخل الدولة الرسمية⁷.

بالإضافة إلى ذلك فقد عمل الأئمة الرسميين على تشجيع الزراعة، وقد كانوا هؤلاء من ملاك الأرض⁸، خاصة في جبل نفوسة فقد كانت الملكية الفردية أو العائلية هي السائدة فيها⁹.

1 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص 288.

2 - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ج3، ص 109.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36.

4 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 256.

5 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 231.

6 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص 287.

7 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 157.

8 - المرجع نفسه، ص 156، 157.

9 - صالح عويطي: مجتمع الواحات الليبية والتجارة الصحراوية - جبل نفوسة أنموذجا- (من القرن 2هـ إلى القرن 5هـ)- مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2013/2012م، ص 39.

اشتهرت تيهرت بأرضيها الزراعية الشاسعة الخصبة التي تدر عليها ما شاءت من حبوب وثمار بأثمارها الجارية العديدة¹، أشار إليها المؤرخون الجغرافيون كابن حوقل والمقديسي ووصفوها بـ "بلخ المغرب"²، ولأن تيهرت تكثر فيها الأثمار، أقام الرستميون بها خزانات وأحواض للماء، كما اهتموا بالرعي وتربية الماشية لأنها منطقة رعوية³.

الدولة الرستمية عرفت نشاطا واسعا في الزراعة والرعي على حد سواء كان أثره بارزا في الصناعة الرستمية⁴.

ب- الصناعة:

ازدهرت الصناعة هي الأخرى في المجتمع الرستمي لتبلي حاجات أفرادها فكانت متماشية مع الزراعة والماشية، مرتبطة بها في أغلب الأحيان⁵.

وقد نجم عن الهدوء والأمن الذي ساد البلاد رخاء اقتصادي، وهذا ما يتطلب ثيابا ونسيجاً لحياة القصور⁶، فذكر ابن الصغير قائلا: "ما رأيت شرافة من القصرين إلا عليها ثوب أحمر وأصفر على الجدار كالبذور"⁷، وهذا ما يؤكد لنا على وجود صناعة نسيجية في الدولة الرستمية، كانت معتمدة أساسا على الصوف والكتان⁸.

كما عرفت الدولة الرستمية صناعة الجلود أو الدباغة، وكذلك تعددت بها المناجم⁹، وعرف الرستميون صناعة الطواحن على الأثمار، واستفاد بنو رستم من خبرة الفرس في صناعة المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية والقوارير الزجاجية وأواني الخزف البراقة والتحف المعدنية والعطور¹⁰.

1 - محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص 308.

2 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص 93، والمقديسي: المصدر السابق، ص 185.

3 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 144-163.

4 - المرجع نفسه، ص 163.

5 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 232.

6 - جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع للهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت)، ص 87.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 62.

8 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 167.

9 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 232.

10 - محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 274، 275.

و باحتواء تيهرت على عناصر غير مغربية كاليهود والأندلسيين والفرس والعرب المشاركة، ساعد على استغلال مقدرات البلاد الاقتصادية استغلالا طيبا¹.

ج- التجارة:

كانت التجارة من أهم النشاطات الاقتصادية في الدولة الرستمية، ولأن عنصر الأمن عنصر هام في نمو التجارة، إذ يضمن للتاجر أمنه على ماله وحرية الحركة، حرص الأئمة الرستميون على توفير الأمن بفضل سياستهم².

كما كان لهم دورا في نمو التجارة يتجلى في محافظتهم على آداب التجارة ورعايتها، وكان الأمر يتم بإسناده إلى محتسبين، فقد أشار ابن الصغير إلى وجود صاحب الشرطة في عهد الإمام عبد الوهاب، وإليه كانت تسند مهمة رعاية الأسواق وحفظها³، ونفوسه كذلك كانت تلي "إنكار المنكر في الأسواق"⁴، فإذا رأوا قصابا ينفخ في الشاة عاقبوه، وإن رأوا دابة تحمل فوق طاقتها أمروا صاحبها بالتخفيف عنها، وإن لاحظوا تراكم الأوساخ في الطرقات أمروا سكان الموضوع بكنسه⁵.

ونظرا للموقع للاستراتيجي الهام لتيهرت، أهلها أن حازت أهمية تجارية وأصبحت مصدرا مهما للتبادل الداخلي والخارجي، فهي عرفت ازدهارا كبيرا فسميت "البصرة الصغيرة"⁶.

قامت الدولة الرستمية بدور الوسيط في التجارة عبر الصحراء شرقا وغربا وشمالا وجنوبا⁷، فهي ملتقى للقوافل التجارية القادمة من مختلف الآفاق، فموقعها المتوسط في بلاد المغرب العربي سمح لها ربط القيروان بفاس وأن تتصل بسجلماسة في الجنوب، وتقيم علاقات وطيدة سياسية وتجارية مع الأندلس، كما اتصلت بالمشرق⁸، وأقامت علاقات تجارية مع بلاد السودان⁹، كانت الأكثر نشاطا وحيوية بالرغم الرخم الذي تميزت

1 - محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 275.

2 - جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص 128.

3 - المرجع نفسه: ص 127.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 63.

5 - صالح عويطي: المرجع السابق، ص 50.

6 - موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول - من القرن 2 إلى القرن 5 هـ (8-11م) -، تر: إسماعيل العربي، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1990، ص 91.

7 - محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 276.

8 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 194.

9 - الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 184، 185.

به التجارة الخارجية للدولة الرستمية مع معظم البلاد الآنفة الذكر، فإن ذلك لم يؤثر على علاقاتها مع جنوب الصحراء الكبرى التي تعتبر المدخل إلى "قلب إفريقيا والطريق الموصل إلى بلاد العرب" بل عزز نشاطها التجاري الذي كان أكثر حيوية وفاعلية معها لإتمام التنمية الاقتصادية بين هذه الشعوب¹.

ومن الأدلة البارزة على نشاط التجارة في الدولة الرستمية، امتلاك شخص بمفرده لسوق بأكملها، كسوق ابن وردة².

ولعل اهتمام الرستمين بالتجارة راجع إلى الأرباح التي تديرها التجارة لوفرة البضائع، وكثرة الإنتاج، حيث حقق الرستميون أرباحا طائلة من الاشتغال بالتجارة، ولدينا بعض الروايات عن عدد من الأثرياء في العصر الرستمي من بينهم الإمام عبد الوهاب نفسه الذي عمل بالتجارة قبل توليه الإمامة³.

فيقول الشماخي عنه: "كان كثير المال ممن اتسعت عليه الدنيا، وسببه أنه كان في أيام أبيه تاجرا... وكان حاذقا بالتجارة واتسعت أمواله"⁴.

تذكر بعض المرجع أنه كانت للرستمين سكتهم التي يتعاملون بها وإنهم قاموا بسك هذه العملة، وقد أكد ذلك الباحثان في علم الآثار الفرنسيان جورج مارسيه G.Marcais و دي لامار D.Lammart اللذان قاما بتنقيبات في تيهرت وعثرا على مجموعة من النقود الرستمية، ولا يستبعد الأستاذ بحاز أن تكون دنانير ذهبية وفضية⁵، ذلك أن الرستمين يكونون قد ضربوا النقود منذ إمامة عبد الرحمن ابن رستم على القيروان، كما وجدت إشارات أخرى لنقود يقال أنها إفريقية أيضا منسوبة لأبي الخطاب ودولته المنتهية (144هـ / 661م)، وعموما كانت النقود الذهبية والفضية وحتى النحاسية تضرب في الدولة الرستمية لأنها أساس التعامل في جميع أقاليم الدولة⁶.

1 - مبروك بوجلال، نبيل بوراس: التواصل التجاري والثقافي بين المغرب الأوسط وبلاد السودان (الدولة الرستمية أنموذجا) - 160هـ / 777م - 296هـ / 909م - مذكرة ليسانس في التاريخ الوسيط، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2012/2011م، ص 25.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 62، 63.

3 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 234.

4 - الشماخي: المصدر السابق: ج1، ص 139.

5 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 183.

6 - صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 130.

ومجمل القول أن الدولة الرستمية في فترة الأئمة الأقوياء تمتعت باستقرار سياسي، صاحبه ازدهار اقتصادي طيلة فترة حكمهم، رغم الفتن التي تعرضت لها الدولة، التي سبق أن أشرنا إليها في الفصل الأول كالنكارية والواصلية وغيرها، فهي محدودة المكان والزمان والخطورة كما أشار إليها الأستاذ إبراهيم بحاز، فتلك الحركات السياسية لم تهدد اقتصاد الدولة الرستمية لذلك كان الإزهار أبرز الأثر وأوضحه على المجتمع الرستمي كافة والتهرتي خاصة.

2- مرحلة التراجع (258-296هـ/872-909م):

الدور الثاني للدولة الرستمية يمثل عهد كل من أبي بكر بن أفلح، وأخيه أبي اليقظان وأبي حاتم يوسف ومحمد بن اليقظان.

وهذا الدور يمثل الصراع العنصري والقبلي، وفيه خفت صوت الإمامة ووهنت قوتها ونجحت بعض العناصر في اغتصاب السلطة في تيهرت ثم تداعي الإمامة واضمحلالها¹.

وبضعف الأئمة تفتش نفوذ العصبية القبلية والطوائف المذهبية، وعجز الرستميون عن التوفيق بين مطالب الحكم ومثاليات المذهب الإباضي ودارت الصراعات بين محاور مختلفة².

يبدو أنه للنكبات السياسية دور في وقوع أزمات اقتصادية بسبب تردي الأوضاع وعدم توفر الأمن، ففي تلك السنين التي كثرت فيها الفتن أصبحت والسبل غير آمنة وكثرت اللصوص وقطاع الطرق، كما يخبرنا ابن الصغير في قوله: "قطعت السبل وفرغ من أيدي الناس الحرث والنسل"³، وهي عوامل من شأنها أن تؤثر سلبا في نشاط التجارة الرستمية خاصة على التجارة الخارجية، حيث كان تأثيرهم على التجارة الخارجية كبيرا، فهم بالإضافة إلى الأضرار التي يلحقونها بالمارة، فقد كانوا عامل فرع وخوف للناس يقعدهم عن الحركة⁴.

كما تطرق الفساد إلى الدولة بسبب الثراء، فكانوا يخالطون العياريين والشطار، وينادمون الفتيات ويعتدون على الحرائر⁵، خاصة في عهد الإمام أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان، في زمنه يقول الشماخي

1 - محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 307.

2 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 228.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 73.

4 - جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص 200.

5 - محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 289.

"فسدت البلد وفسد أهلها وأظهروا المنكر وكثر الفسق والزنى وشرب الخمر"¹، ويضيف الباروني "...وأما جهة طرابلس وجبال نفوسة وما يليها فإنها لم تكتسب راحة منذ ولي هذا الإمام وكثرت فيها الفتن والحروب..."². ظهرت طبقة من الأثرياء، استغلوا نفوذهم في الأمور التجارية للانفراد بالأسواق واحتكارها مثل: سوق ابن وردة، فهم يمثلون قوة ضغط اقتصادي وسياسي³.

ولا غرابة إذا ما أدركنا تسامح الرستميين مع أعدائهم المذهبيين والسياسيين وترحيبهم بالغرباء في بلادهم، وليس أدل على ذلك من وجود طوائف اليهود في تيهرت وهيمنتهم على كثير من نشط التجارة⁴. وذكر ابن الصغير أن عاصمة الدولة، قد غصت بجموع التجار من سائر إرجاء العالم الإسلامي على اختلاف مللهم ونحلهم⁵.

ثم إن الحكام في هذه الفترة لم يشاركو في تلك التجارة مثلما كانوا سابقا في عهد الإمامين عبد الوهاب وأفلح، ولا يستبعد أن تكون الفتن هي التي شغلت الأئمة عن النشاط التجاري⁶.

كما أصبحت العلاقة بين التجار والسلطة علاقة مشوبة بالحذر، فإن السلطة ترى فيهم خطرا عليها بجاههم وأموالهم، وترى فيهم منافسين، وربما هذه الظاهرة وراء مقتل محمد بن عرفة على يد الإمام أبي بكر⁷، هذا ما أشار إليه ابن الصغير إلى جاهه ونفوذه فقال: "شرقت بذلك الرستمية وغارت به وشرق بذلك من طاف بأبي بكر"⁸.

ولعل هذا الاضطراب السياسي الذي استمر إلى أواخر أيام الحكم الرستمي، أدى إلى اضطراب تدفق الذهب على العاصمة تيهرت، وبالتالي تقلصت الفوائد التي كانت الدولة تجنيها في تلك التجارة، فالدولة لم

1 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، 224.

2 - الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 277.

3 - سليمان دواودين يوسف: مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية وتركيزها، مجلة الأصالة، مج17، ع49-50، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر، 2011م، ص 22، 23.

4 - محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 282.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 61، 62.

6 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 236.

7 - جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص 135.

8 - ابن الصغير، المصدر السابق، ص 72.

تقوى على مواجهة الفتن لقلّة وفرّة المال، وهذه النتيجة نفسها أدت إلى تقلص جلب البضائع التي تحتاجها، وبذلك ضعف الكيان وتمادى المتمرد في العصيان¹.

فاجتمعت بذلك العوامل كلها للتمهيد لسقوط الرستميّين في يد الشيعة الفاطميّين، وازدادت الأحوال سوءاً بسياسة العسف الاقتصادي التي اتبعها الفاطميّون².

ويمكننا القول أن كثرة الفتن، وضعف الأئمة الرستميّين وغياب السلطة الحازمة، ثم إعلان العصيان والتمرّد، كلها عوامل أثرت سلباً على الاستقرار السياسي للدولة، فأصابت الازدهار الاقتصادي الذي شهدته البلاد في زمنها الأول.

ثانياً- انعكاس الجانب السياسي على الجانب الاجتماعي:

لقد أدى قيام الدولة الرستمية في بلاد المغرب إلى إنشاء مدن، أسهمت في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والبشري، فكانت الدولة لا ترتبط بالمحافظة على قطعة التراب بل كانت الدولة نفسها في خدمة المجتمع، حيث كان العدل والإحسان هي المبادئ التي سار عليها جميع الأئمة الرستميّين وعليها بنو سرحهم السياسي.

1- مرحلة الازدهار (160-258هـ/777-872م):

يعود لقيام الدولة الرستمية آثارها الاجتماعية في حياة سكان بلاد المغرب الأوسط، فقد تحول إقليم تيهرت من غابات وغياض للسباع والوحوش والزواحف³، إلى مدينة عامرة أهلة بالسكان مزدانة بالعمائر والزروع، تترتب على ذلك انتقال السكان من حياة البداوة والترحال إلى حياة الحضارة والاستقرار⁴.

حظيت الدولة بعدد من الأئمة الأقوياء في الفترة الأولى من حياتها، تمتعت في عهدهم بالاستقرار الاجتماعي، حيث كان الأئمة فيها شديدي الالتزام بحياة الزهد والتقشف وعدم الميل إلى مظاهر الأبهة والعظمة، ولم تكن وظائف الدولة فيها حكراً على عصبية بعينها⁵.

¹ - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 236.

² - محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 283.

³ - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 53، والدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 41.

⁴ - محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 289.

⁵ - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 227، 228.

كانت الدولة الرستمية في عهد الإمام عبد الرحمن كله على الهدوء والهناء وعلى الاتحاد والمحبة، لم يشغب عليه شاغب، ولا نافسه منافس، ولا سحق أحد سياسته وسيرته، وكانت الدولة في عهده في أيام البناء والعمل والكد¹.

وهذا الإمام عبد الوهاب مع ذكائه العلمي قاهر كبار السياسة في عصره وقد استطاع أن يحل المشاكل الكبرى، ويخمد الثورات التي برزت في عهده².

ويلخص ابن الصغير عهد أفح الطويل فيقول، أنه تميز بسياسة الأخذ بالعزم والحزم، فطار صيته، واستقرت أمور دولته ودان له الجميع³، فكان نتيجة ذلك ازدهار تيهرت، ذلك الازدهار الذي نسبه ابن الصغير إلى عهد أيام عبد الرحمن بن رستم⁴.

وبسبب الاستقرار السياسي الذي صاحبه استقرار اجتماعي عرفت تيهرت نمو سريعاً في عهد الإمام الأول، حتى أن وفد البصرة تعجبوا من تطور الأحوال في المدينة التي وسعت حدودها توسيعاً كبيراً وآوت عدداً أكبر من السكان.

أ- التركيبة السكانية:

ولأن الدولة الرستمية دولة تسعى للمساواة بين الأجناس، فتحت ذراعها لكل الناس ورحبت بكل الطوائف، وقصدتها الأجناس من كل أنحاء العالم⁵، هذا ما يصوره لنا ابن الصغير في قوله "ليس أحد يتزل بهم من الغرباء، إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم..."⁶.

كثير عدد سكان تيهرت واختلفت فيها عناصرهم وأجناسهم، فقد ضمنت مختلف القوميات من البربر والعرب والعجم كما كان فيها اليهود والنصارى، والسودانيون والأوروبيون الذين كانوا يتوافدون عليها للتجارة وللعمل وللإقامة⁷.

1 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص 391.
 2 - المرجع نفسه، ص 402.
 3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 57.
 4 - سعد زغلول: المرجع السابق، ص 339.
 5 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص 296.
 6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36.
 7 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص 297.

وبما أن الدولة الرستمية دولة الحرية الفكرية وحرية الاعتقاد، وحرية الكلام في حدود الدين الإسلامي، هذا جعلها تزخر بالمذاهب الإسلامية المختلفة كان فيها: المالكية والمعتزلة والصفيرية، ومذهب أهل الكوفة والعراق وكل المذاهب الإسلامية الموجودة في المشرق، لأن أئمتها ورعيته كانوا لا يفرضون على أحد مذهبهم، وكانوا يحترمون كل المذاهب الإسلامية التي لا تخالف الدين¹، فيقول ابن الصغير "حتى لا ترى داراً، إلا قيل لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين"².

وكان هؤلاء ممن يود أن ينعم ببركات الاستقرار والأمن والعدالة والرخاء³.

ب- طبقات السكان:

نتيجة التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي عرفته تيهرت، ظهرت مجموعة من الطبقات كحتمية خلقها التطور في البنية الاجتماعية فظهرت طبقة الخاصة والعامة.

- الخاصة:

تمثل هذه الفئة الخاصة كما أشار إليها ابن الصغير ابتداءً من الإمام الرستمي ويليهِ أعوانه من الوزراء ورجال الدولة، وقادة الجند والمرتبطين بالسلطة⁴، مثل: كبار التجار، والصناع الماهرين والعلماء النابغين، الذين قد ضاقوا ذرعاً في أوطانهم بظلم الملوك واستبدادهم، فهاجروا إلى الدولة الرستمية العادلة فاستوطنوها، فانتفعت هي بكفاءتهم فكانوا من أسباب إسراعهم في طريق الحضارة وبلوغ قمة المدنية في وقت قريب⁵.

ظهرت طبقة من الأثرياء منذ عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب فكان أفلح تاجراً، ظهر ثراؤه في أنه "ابتنى القصور واتخذ باباً من جديد وبنى الجفان..."⁶.

1 - محمد علي ديبوز: المرجع السابق، ج3، ص 296.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36.

3 - إحسان عباس: المرجع السابق، ص 22.

4 - جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص 256، 257.

5 - محمد علي ديبوز: المرجع السابق، ج3، ص 301.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 61.

كما كان في تيهرت طوائف كبيرة من العجم قد بلغ بعضهم في الثراء وسعة التجارة درجة كبرى حتى صارت له سوق كاملة تنسب إليه، كسوق ابن وردة¹.

ونرى الأغنياء في الدولة الرستمية يتنافسون في الإنفاق ومغرمون بالبر والإحسان ويتنافسون في جمع المال، ويكدون الكد في الحصول عليه من أجل سعادة الدنيا والآخرة²، كما كان الأغنياء يؤدون زكاة أموالهم إلى بيت مال المسلمين في وقت معلوم وهم مسرورون كما أعطوا لأنها حق الله في أموالهم³.

- العامة:

يندرج في إطار هذه الفئة العامة أو العوام كما ذكرها ابن الصغير، وتشمل هذه الفئة، الزراع والفلاحين، وأهل الصنائع والمهن وصغار التجار والعاطلين عن العمل، ومن ذوي العاهات والمساكين والخدام والعييد، فهذه الطبقة تشمل كل من لم يرتبط بالسلطة الحاكمة أو كل من ليس له موارد مالية مستقرة⁴.

وجد الفقراء في تيهرت منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم، فإذا اجتمع إليه مال الصدقة "جلس للأرملة والضعيف" و"أمر بإحصاء الفقراء والمساكين"⁵، ولكن السياسة الإسلامية الراشدة التي جرى عليها الإمام عبد الرحمن كانت كفيلة بأن تنعش هذه الفئة، فبعد تقبل المساعدات من وفد البصرة أول مرة⁶، وتوزيعها على المستحقين من فقراء ومساكين انتعش الفقير وتحسنت أحواله بسبب توزيعه العادل، يقول ابن الصغير "ثم نظر في باقي سائر المال، فإذا عرف مبلغه أمر بإحصاء من البلد وفيها حول البلد ثم بإحصاء الفقراء والمساكين، فإذا علم عددهم أمر بإحصاء ما في الأهراء من الطعام، ثم أمر بجمع ما بقي من مال الصدقة فاشترى منه أكسية صوفا وجبابا وفراء وزيتا ثم دفع في كل أهل بيت بقدر ذلك"⁷، وليس من شك في أن هذه السياسة لم تتوقف، لتمسك الأئمة بتطبيق الشريعة تطبيقا دقيقا⁸.

1 - إحسان عباس: المرجع السابق، ص 30.

2 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص 305.

3 - المرجع نفسه، ص 303.

4 - جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص 256، 257.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 32- 41.

6 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 54، والدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 45.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 41.

8 - إحسان عباس: المرجع السابق، ص 29.

وكان من الطبيعي أن يقل الفقر في الدولة ويقل عدد الفقراء، لأنها دولة العمل والجدد، فكل أفرادها يعملون لا يكسلون ولا يتكلمون، فصار اقل شيء من بيت المال يكفي العجز والغرباء والأيامى وذي العاهات والمساكين¹.

ج - المرأة:

احتلت المرأة مكانة محترمة في المجتمع الرستمي، ولم تضل المرأة عالة على المجتمع وخادمة للرجل في منزله، بل كانت تشارك في الإنتاج بالإضافة إلى قيامها بالأعمال المنزلية فهي تقوم بأعمال يدوية كالغزل والنسيج وبأعمال فلاحية².

فذكر الدرجيني أن امرأة نفوسية وجدت في الحرث مع زوجها مهدي النفوسي³ زوجها، وهي تنقل التراب على رأسها لإصلاح الجسور⁴.

وكانت المرأة الرستمية تحب الصدقة والإحسان وإدخال السرور على الناس وسخاء الرجل من سخاء المرأة، ولا يوجد رجل كريم بالغ الكرم و السخة إلا وزوجته من ورائه تدفعه وتذكي حبه للإحسان، كامرأة ابن زلغين الذي هو من الأغنياء الكبار في تيهرت الأتقياء، فقد كانت امرأته كريمة مثله⁵.

كما تضمنت كتاب ابن الصغير إشارة حول المرأة التي لم يكن دورا بسيطا بل مس أهم القرارات في الحكم، من خلال حديثه عن غزالة زوجة الإمام أبي اليقظان في التأثير عليه من اجل تقليد ابنها أبي حاتم ولاية العهد⁶.

والدولة الرستمية كانت تعني كل الاعتناء بتثقيف المرأة وبتعليمها كل ما يجعلها زوجة صالحة، وأما كريمة، وأساسا للدولة العظيمة⁷، هذا وقد حظيت المرأة باهتمام كبير ولم يكن هذا الاهتمام أمرا عارضا بل هو

1 - محمد علي ديبوز: المرجع السابق، ج3، 307.

2 - جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص 318.

3 - مهدي النفوسي الويغوي: اشتهر بالعلم والشجاعة وكان رجلا ورعا زاهدا في الدنيا طالبا للأخرة، وهو من بين الأربعة الذين أرسلوا من نفوسة إلى تيهرت طلبا من الإمام عبد الوهاب لمناظرة الواصلية، انظر: الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 57-65.

4 - المصدر نفسه، ص 65.

5 - محمد علي ديبوز: المرجع السابق، ج3، ص 317.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 103.

7 - محمد علي ديبوز: المرجع السابق، ج3، ص 337.

من صميم الدين الإسلامي فعملوا على إعدادها جيدا لتؤدي رسالتها في المجتمع، وسيروا لها السبل لتلتحق بحلقات الدرس¹.

فلاحظ أن المرأة قد لعبت دورا بارزا في الحياة الفكرية في المجتمع الرستمي، وجدناها عالمة وشاعرة ومستفسرة عن مسائل دينها، وكانت كثيرة الاعتناء بالشعائر الدينية وشرائعه، فقد كانت الوعاء الحقيقي للإباضية حملت هذا المذهب بأمانة. تدافع عنه وتنشئ الأجيال عليه².

د- نظام العزابة:

لقد أشارت بعض المصادر الإباضية القديمة كأبو زكرياء والدرجيني على تنظيم حلق العزابة في عهد الدولة الرستمية، إلا انه كان يعرف باسم "الحلقة"، ويورد الدرجيني معنى الحلقة على أنها اسم لجماعة تجتمع على الشيخ يعلمهم العلم ويلقنهم السير ويصبرهم في الدين³.

لكن المعلومات قد شحت عن هذا النظام الاجتماعي وعن دوره في المجتمع الرستمي في تلك المصادر، إلا أنه توجد بعض المراجع الحديثة التي تناولت موضوع نظام العزابة وأثره الاجتماعي في وادي ميزاب، أي بعد سقوط الدولة الرستمية والتحاق الإباضية بوادي ميزاب، فقد لجأ الإباضية إلى هذا النظام حفاظا على وجودهم وعقائدهم المتناقضة مع المذاهب الشيعية المتطرفة الحاكمة آنذاك⁴.

وهناك من يحدد نشأة هذا النظام في مطلع القرن الخامس الهجري أسسه أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرستائي النفوسي (ت 440هـ/1040م)، وهذا النظام كان أول مرة على هيئة حلقة العلم ثم ترقى إلى نظام اجتماعي يهتم بالشؤون الاجتماعية، إذ قنن قوانينه العلامة أبو عمار عبد الكافي (ت 570هـ/1174م)⁵، ومجلس العزابة ينظمه الإباضية في كل مدينة أو منطقة إباضية، ويعنون بالعزابة من انقطع للعلم والدين عزوبا عن الدنيا⁶.

¹ - صالح عويطي: المرجع السابق، ص 17.

² - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 377.

³ - الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 171، 172.

⁴ - بكير بن سعيد اعوشت: وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية - دينيا، تاريخيا، اجتماعيا- المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1991م، ص 90.

⁵ - يوسف بكير الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب- دراسة اقتصادية واجتماعية وسياسية- وزارة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م، ص 28-31.

⁶ - بكير بن سعيد: المرجع السابق، ص 103.

ولهذه الجماعة رئيس ينتخبونه من بين أعضائها ممن اشتهر بالسيرة الحسنة والعدل والغيرة على المذهب الاباضي وشؤون أفراده¹، ويتألف مجلس العزابة من عشرة أشخاص يجتمعون في مسجد البلد ويفصلون بين المتقاضين ومن أبي حكمهم أعلنوا البراءة منه، فيقاطع حتى يرد الحق ويتوب².

وقد تعددت مهام حلقة العزابة فشملت الجوانب الدينية والتعليمية والاجتماعية والقضائية والدفاعية والاقتصادية، وكانت وسيلتها الوحيدة للقيام بهذه المهام كلها واحترام سلطتها، تولى مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر³.

ما يمكننا قوله أن ازدهار تيهرت يعود إلى شخصية أتمتها الذين طبقوا الأفكار السياسية الإسلامية، ولعل السيرة الفاضلة التي رسمها الأئمة الثلاثة الأول هي خير من يحقق للمجتمع العدالة والأمن والمساواة.

2- مرحلة التراجع (258-296هـ/872-909م):

كانت سياسة الأئمة الرستميين الأوائل متماشية مع تعاليم المذهب الإباضي، تقوم على العدل والمساواة وعدم التعصب لعصية دون سواها، الأمر الذي هباً للحكم الثبات والاستقرار والخروج عن هذه السياسة فيما بعد سبب الاضطراب والفتن.

فقد تحولت الإمامة عن مبدأ الاختيار إلى فكرة التنصيب بالتوريث، كما ظهرت سياسة الميل لعناصر دون سواها وتمكينها من الاستئثار بمراكز الدولة ووظائفها، مما شكل خروجاً عن تعاليم المذهب الإباضي، ونجم عن ذلك حركات وثورات على الأئمة اتخذت في أغلبها طابع الانشقاق المذهبي⁴.

وبسبب ترحيب الدولة الرستمية بكل المسلمين وفتحها أبوابها لكل الناس وتمتع كل الناس فيها بالحرية في نطاق الدين الإسلامي، قد مكن العباسيين من إرسال طوائف كبيرة من جواسيسهم، فاستقروا في الدولة سيما في تيهرت العاصمة، فصاروا يغتصمون الفرص لبث الفتنة ويستغلون كل الأسباب لإشعال النار فيها⁵.

1 - عصام الدين عبد الرؤوف: المرجع السابق، ص 158.

2 - محمد بلغراد: المرجع السابق، ص 44.

3 - يوسف بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 31.

4 - محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 156.

5 - محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص 410.

وبالإضافة إلى ذلك وضوح الطبقة في المجتمع نشأ عنها تدمير اجتماعي واقتصادي، فالطبقة العليا تحاول الحفاظ على موقعها على حساب الطبقة السفلى، وهذه الأخيرة تحاول رفع مكانتها الاجتماعية، لا بد من ذلك أن ينشأ التدمير والتلطم الذي أخذ أشكال متعددة كإعلان الثورة والقيام بغزوات للسلب والنهب¹.

وبسبب تردي الأوضاع وعدم توفر الأمن، ظهر قطاع الطرق الذين يعشقون الغزو والنهب والسلب على العامة والخاصة، وقد ظهر اللصوص في مدينة تيهرت أيام حكم الإمام أبي اليقظان، عهد سيطرة البذخ والترف²، بعد تحول البلاط الرستمي عن حياة الزهد والتقشف، ومن مظاهر ذلك أن عبد الرحمن بن رستم كان ورعا زاهدا، فتذكر المصادر التاريخية أن بيته لم يكن فيه إلا "حصيرا فوقه جلد، ووسادة ينام عليها، وسيفه ورمحه وفرس مربوط في ناحية من داره"³.

أما خلفاؤه فقد عاشوا حياة خلفاء المشرق وملوك الفرس، فامتلكوا الضياع والمنازل والحصون التي أقاموها بنواحي مدينة تيهرت⁴، حتى قال ابن الصغير "كانت القبائل المنتشرة حول تيهرت، لما اكتسبت من أموال اتخذت العبيد والخيول، قد نالها من الكبير ما نالها أهل المدينة"⁵، فاقتنوا الجوارى والغلمان والعبيد، والحشم كما يقول ابن الصغير، وانصرف معظم الرستميين إلى حياة الترف والدعة والولع بالفنون والآداب⁶.

وفضلا عن ذلك كان اختلاط البربر بالعناصر الوافدة له حسناته كما كان له مساوؤه أيضا، فقد تحلل المجتمع الرستمي وتفشت الرذائل فيه وهو ما عبر عنه الشماخي في قوله: "فسدت بها البلد وفسد أهلها وأظهروا المنكر وكثر الفسق والزنى وشرب الخمر"⁷.

كما زاد الحالة سوءا بتفاقم الخلافات داخل البيت الرستمي وقيام البيت بتدبير المؤامرات والاعتيالات ضد بعضهم البعض لتولي الحكم، مثل ما حدث مع الإمام أبي حاتم يوسف الذي اغتيل من طرف بنو أخيه⁸.

1 - جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص 456، 457.

2 - المرجع نفسه، ص 261.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 33.

4 - المصدر نفسه: ص 61، 62.

5 - نفسه: ص 94.

6 - الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 266.

7 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص 224.

8 - ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 197.

وفي نهاية هذا الفصل يمكننا القول أن الدولة الرستمية قد نعمت باستقرار سياسي في فترة الأئمة الثلاثة الأول، صاحبه استقرار وازدهار اقتصادي واجتماعي، حيث كان أثره بارزا على حضارة الرستمين، أما في فترة ضعف الأئمة واضطراب أمن الدولة وعدم استقرارها، بسبب غياب السلطة الحازمة والفتن والثورات وغيرها، قد عادت بعواقب وخيمة على الدولة الرستمية من نواحي اقتصادية واجتماعية، فاجتمعت بذلك العوامل كلها للتمهيد لسقوط الدولة الرستمية في يد الشيعة الفاطميين في شوال (296هـ/909م).

الخلاصة

يظهر لنا في ختام هذه الدراسة المتواضعة لموضوع تأثير الأوضاع السياسية في تيهرت على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية (160-296هـ / 777-909م) جملة من الاستنتاجات أعتبرها روح العمل لعل أهمها:

- كانت بلاد المغرب أكثر بقاع العالم الإسلامي تقبلا لعقائد الخوارج وأكثرها حماس لنصرتهم، فباعتناق المغاربة مذهب الخوارج رفعوا علم الثورة الأمويين والعباسيين وانتهى بهم الأمر إلى إقامة إمارات مستقلة منها قيام الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط.
- تولى حكم هذه الدولة التي استمرت أكثر من قرن وثلث قرن سبعة أئمة. تميز الأولون منهم بالقوة والمنعة والحنكة السياسية كالإمام عبد الوهاب الذي أحبط كافة الحركات المناوئة ذات الطابع المذهبي بالقوة والإمام أفلح الذي امتاز عهده بالنمو الاقتصادي والرخاء المعيشي.
- أما الدور الثاني من تاريخ التطور السياسي للدولة فقد اتسم بضعف الأئمة، وانحرافهم عن مبادئ المذهب، ثم تداعي الإمامة واضمحلالها بتفاقم الخلافات داخل البيت الرستمي وقيام أفراد البيت بتدبير المؤتمرات والاعتيالات ضد بعضهم البعض لتولي الحكم.
- بلغت تيهرت في الدور الأول من تاريخ التطور السياسي للدولة شأنًا عظيمًا من الرقي والازدهار، حتى أنها كانت تشبه وتقارن بقرطبة وبغداد ودمشق وكانت تدعى بعراق المغرب، وكان بها من القصور العالية والمنازل الرفيعة والحصون والمساجد والمتزهات ما يشبه منشآت هذه البلاد.
- عرفت الدولة الرستمية ازدهارا اقتصاديا واسعا في عصر الاستقرار السياسي، كان أبرز الأثر وأوضحه على المجتمع الرستمي، والحقيقة أن العوامل المساعدة كانت متوفرة، كالعادلة وتوفير الأمن في الداخل، إضافة إلى العلاقات الحسنة مع الجيران، كل هذا أدى إلى تحقيق ذلك الازدهار والرخاء.
- غير أن كثرة الفتن والاضطرابات السياسية التي عرفتها الدولة الرستمية في دورها الثاني، أصاب الازدهار الاقتصادي الذي شهدته البلاد في زمنها الأول.
- أما بخصوص الأوضاع الاجتماعية، بقيام الدولة الرستمية تحول المجتمع من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار، وإنشاء المدن وامتداد العمران، كما أحدثت آراء ومبادئ الخوارج الإباضية كالمساواة وتحقيق

العدالة الاجتماعية، تحولات كبرى في حياة المجتمع الرستمي عامة والتهيرتي خاصة، بقدم عناصر شرقية وأندلسية وحتى أوربية للإقامة في كنف الدولة، حيث تمخض عن ذلك آثار طيبة وأخرى سيئة في المجتمع الرستمي، هذا ما لاحظناه في دورها الثاني حيث تعقد المبنى الاجتماعي في تيهرت، على أساس الانتماء المذهبي والقبلي والعرقى والاقتصادي، وتعددت ضروب الولاء وأنواع التحالفات وكثرة الانقسامات بحسب ما تمليه المصالح المختلفة.

- إن سقوط الدولة الرستمية، كان نتيجة طبيعية وحتمية لما وصلت إليه الأمور من تدهور وانحطاط، ولما آلت إليه الأوضاع الداخلية من تردي وفتن وبسبب التصارع على الحكم، وضعف الارتباط بالمذهب وغيرها، هذه الظروف استغلها الشيعة الفاطميون لينهوا الدولة الرستمية سنة (296هـ / 909م).

وفي الأخير يمكننا القول، أن الدولة الرستمية استطاعت أن تعيش قرناً وأكثر من ثلث قرن، تميزت أوضاعها السياسية بالنشاط والحيوية والاستقرار والاضطراب، لذلك كان تأثير الخوارج الإباضية على أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية تأثيراً عميقاً، ففضلهم ازدهرت كافة النواحي الاقتصادية والاجتماعية في عصر الاستقرار السياسي، وبسببهم تفاقمت الأحوال وازدادت سوءاً في عصر الاضطرابات السياسية.

ومن كل هذه النتائج المهمة التي توصلنا إليها من خلال دراسة هذا الموضوع ننوه إلى الاهتمام بتاريخ الأمة الجزائرية لأنه من ثوابتها فهو لا يزال في حاجة إلى مزيد من الجهود خاصة ما يتعلق بالمجال الاقتصادي والاجتماعي منه، فنرجو أن تفتح آفاق أخرى للبحث في التاريخ الجزائري عامة وتاريخ الدولة الرستمية خاصة.

الملاحق

ملحق رقم (01)

رسالة من الإمام أفلح إلى عماله يدعوهم إلى تقوى الله ولزوم طاعته

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

"من أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد سلام عليك وإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، أما بعد: ألبسك الله عافيته فإني أذكرك عظمة الله لا تنساها وفكر في صغير خلقتك وفي عظيم ما خلقه الله وما جعله من النكال والعذاب لابن آدم وما عافى به من فاز برحمته من عظيم خلقه من السموات والأرض والجبال والشجر وأذكرك ما أعدده الله لابن آدم من الكرامة التي تكل الألسن عن وصفها فلو لم تكن كرامة تطلب إلا النجاة من جهنم لكان في ذلك ما ينبغي للعبيد أن ينصفوك من أنفسهم ويفارقوا جميع اللذات، إلا أي أقول لك أن الدواء في هذا هو الاستغاثة إلى الله في العصمة فمن أراد به الإحسان عصمه أي حفظه من الإصرار على المعاصي ووقفه إلى التوبة وجعله من أوليائه الذين قال لإبليس فيهم أن عبادي ليس لك عليهم سلطان فاطلب الله وارغب إليه في العصمة والتوفيق وان يحول بينك وبين عدوك واعلم أنه لا شيء لمن عقل خير ممن وعظه ومن موعظة يأخذها، فأقبل واجتهد في القبول إلى أن قال وأما ما ذكرته من أن أجعل لك سبيلا وأطلق يدك وأن الحاضر يرى ما لا يراه الغائب، فلعمري أنه كذلك ولكن ليس في هذا إنما هي أسهم جعلها الله وأوقفها وهي وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهي إلا على قدر الاجتهاد فاتق الله واجتهد جهدك في توفير الحقوق وتوجيهها إلينا على هذا مضى من كان قبلك"¹.

¹ - الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 187، 188.

ملحق رقم (02)

رسالة الإمام أفلح بن عبد الوهاب إلى نفاث بن نصر

"من أفلح بن عبد الوهاب، إلى نفاث بن نصر، أما بعد:

فالحمد لله المنعم علينا والمحسن إلينا الذي بنعمته تتم الصالحات ولا يهتدي مهتدي إلا بعونه وتوفيقه فله المنة علينا ولا منة لنا عليه، وهو المحسن إلينا إذ هدانا لدينه وجعلنا من بعد أسلافنا الصالحين وأئمتنا المهتدين الذين في أتباعهم نرجو الهدى وفي مخالفتهم نخشى الهلكة، ولن يهتدي من خالف العدل ولن ينجو من ابتداع غير الحق لأن تلك البدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر في النار.

وقد كتبت إليك غير كتاب أنصح لك فيه وأدعوك إلى رشدك وفي كل ذلك لا يبلغني من عمالنا فيك إلا ما أكره ولا أرضاه لدين ولا دنيا حتى حررت كتابا منشورا إلى عمالنا أمرتهم فيه بخلع كل من حالف سيرة المسلمين وابتدع غير طريقهم وسار بغير سيرتهم وبنفيه وهجره وإقصائه، فكتبت إلي كتابا كأنك تسخط ذلك، أترى أي أوازر من ابتداع في ديننا (كلا) ما كنت بالذي يفعل ذلك ولا أوازر من يسعى في خلافنا ما كنا على الهدى.

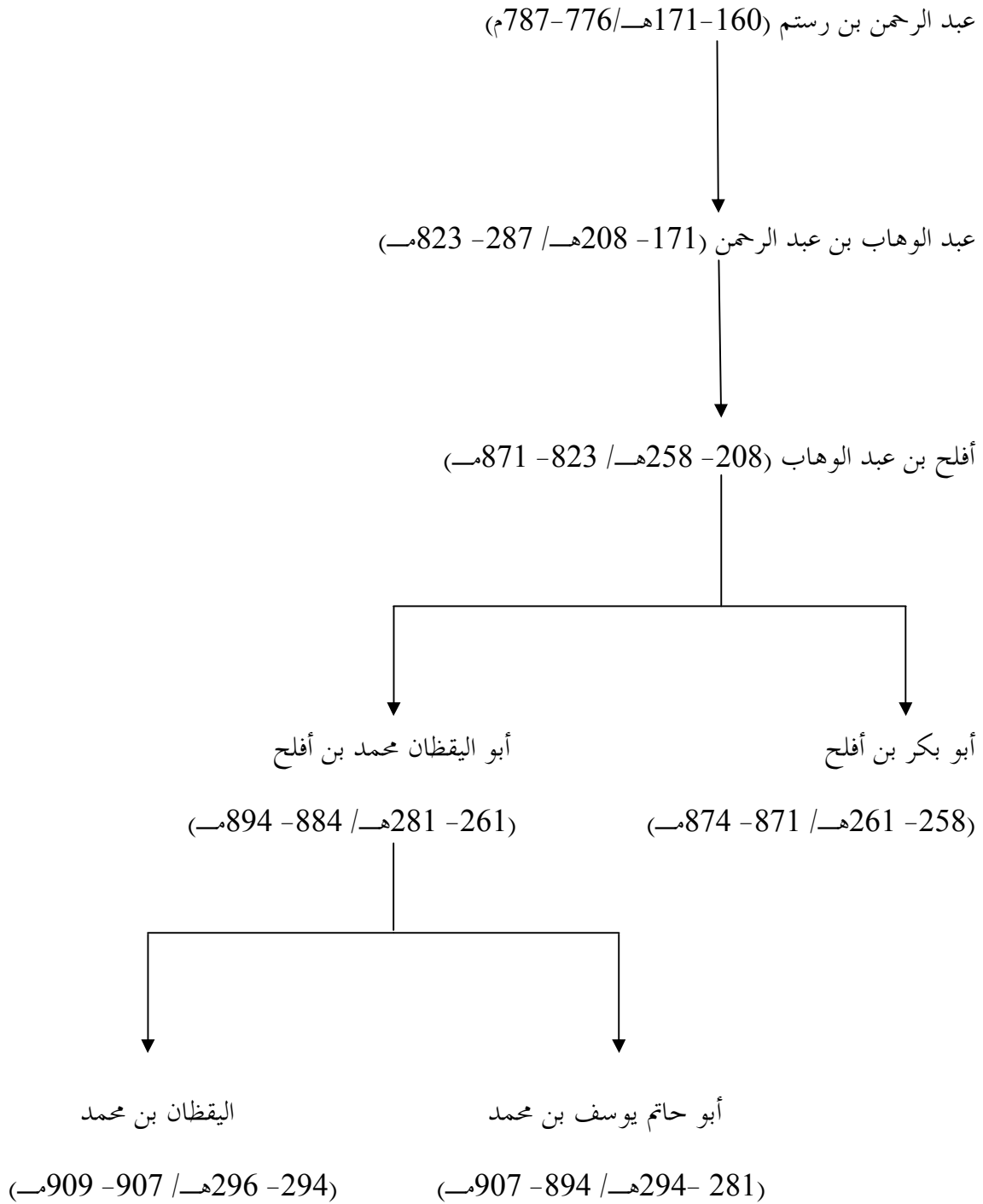
ثم قلت أنا أمرنا في كتابنا بالبراءة منك، فإن كنت كما كتب به إلينا عمالنا فأنت محقوق بالبراءة ومقصى من جماعتنا لأننا ما كتبنا كتابنا ذلك الأعلى أن كل من ابتدع في ديننا خلاف أسلافنا وزعم أن عمالنا أساقفه وأنهم لا طاعة لهم في حال كتمانهم فهو محقوق بالبراءة من جماعة المسلمين فإن تكن أنت منهم فأنت الذي أبحت لنا البراءة منك وأحللت بنفسك ما لا بد لنا أن نفعله بك بغيرك وإن لم تكن كذلك فإظهار الانتفاء من ذلك وكذب عن نفسك ما قيل عنك لتكون عندنا بالحالة التي تستحقها وتستوجبها.

وأما قولك (تب مما كتبت به) فهو منك عبث إذ لم أشاهدك ولم أشاهد موافقتك حتى يجب لك علي أصل ولاية، ولم يكن لك عندي تقدمه في الموافقة، وإنما رفع إلينا عنك ما رفعه أهل الثقة عندنا فأمرنا عمالنا أن يسيروا في كل من ابتدع بسيرة المسلمين وكتبنا إليهم بذلك، فجعلت تكتب إلينا فيما ليس لك به كتاب، فعلام تتجاهل في الأمور، فإن كانت غايتك إنما هي أن نكتب إليك وتجب إلينا ونجيب فهذه غاية قصيرة والسكوت عنك أهنا وأولى بنا ونحن بمأمنينا به أحق من مجاوبة أهل التكلف ومن ليس له غاية إلا أن يقال فيه كتب فلان وقال فلان وفلان يفعل ويفعل فلان، وأن كانت غايتك التصحيح فانف عن نفسك ما رقي عليك وكن من جماعتنا وموافقي أسلافنا، فإذا تبينت منك الموافقة والانتفاء مما رقي عليك كان ذلك هو الذي نجبه منك من مخالفة أصحابنا فأنت وما رضيت به لنفسك، وإني غير كاتب إليك كتابا بعد هذا إلا أن انتهى إلينا منك ما نجبه فنتركك من أنفسنا بحيث تحب والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"¹.

¹ - الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 204، 205.

ملحق رقم (04)

مخطط يمثل الأئمة الرستميين الذين تولوا حكم الدولة



الوراقية

أولاً- المصادر:

- 1- ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 657هـ / 1260م): الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1985م.
- 2- ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي أبي الكرم (ت 630هـ / 1233م): الكامل في التاريخ، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
- 3- الاضطخري أبو إسحاق (ت ق 4هـ / 10م): المسالك والممالك، تح: محمد عبد العال ومحمد شفيق غربال، دار القلم، مصر، 1961م.
- 4- البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت 429هـ / 1038م): الفرق بين الفرق، تح: محمد عثمان الخشيت، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ت).
- 5- البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ / 1094م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).
- 6- البلاذري أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 271هـ / 885م): فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1987م.
- 7- ابن حزم الظاهري أبو محمد علي ابن أحمد (ت 456هـ / 1064م): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، ط2، دار الجيل، بيروت، 1996م.
- 8- الحموي ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله (ت 625هـ / 1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.
- 9- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت 727هـ / 1327م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
- 10- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (368هـ / 979م): صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، 1992م.
- 11- ابن خلدون عبد الرحمن (808هـ / 1406م): ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.
- 12- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ / 1271م): طبقات المشائخ المغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البحث، الجزائر، 1974م.
- 13- ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد (حي 503هـ / 1110م): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، (د.ت).
- 14- الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت بعد 425هـ / 1034م): تاريخ إفريقية والمغرب، تح: عبد الله العلي الزيدان وعزالدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

- 15- أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر (ت 471هـ / 1079م): سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م.
- 16- الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت 928هـ / 1522م): كتاب السير، تح: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1992م.
- 17- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ / 1154م): الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1993م.
- 18- ابن الصغير (ت ق 3هـ / 9م): أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد نصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.
- 19- مؤلف مجهول (ت ق 6هـ / 12م): الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ت).
- 20- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله (388هـ / 998م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م.
- 21- ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ / 871م): فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).
- 22- ابن عذارى المراكشي أبو عبد الله محمد (ت 721هـ / 1321م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ليفي بروفنسال وكولان، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
- ثانيا- المراجع:**
- 1- أحمد مصطفى أبو ضيف: دراسات في تاريخ الدولة العربية، ط4، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1986م.
- 2- أمين أحمد: فجر الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، لبنان، 1969م.
- 3- أعوشت بكير بن سعيد: وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية- دينيا، تاريخيا، اجتماعيا- المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1991م.
- 4- الباروني سليمان بن عبد الله النفوسي: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، (د.ت).
- 5- بكير بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية (160- 296هـ / 777- 909م)- دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية- ط2، نشر جمعية التراث، الجزائر، 1993م.
- 6- بكير يوسف الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب- دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية- وزارة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م.
- 7- بورويبة رشيد وآخرون: الجزائر في التاريخ- العهد الإسلامي من الفتح إلى العهد العثماني- المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- 8- بوعزيز يحيى: الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
- 9- الحريري محمد عيسى: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي - حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ/ 292م) - ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، لبنان، (د.ت).
- 10- حسن حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، دار الجيل، بيروت - مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م.
- 11- الحفني عبد المنعم: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الرشيد، القاهرة، 1993م.
- 12- خليفات محمد عوض: الأصول التاريخية للفرق الإباضية، ط3، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، الأردن، 1994م.
- 13- دبور محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، المغرب، 2010م.
- 14- الدراحي بوزياني: دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، ط2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2002م.
- 15- رستم سعد: الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات - النشأة، التاريخ، العقيدة، التوزيع الجغرافي - ط3، الأوائل لنشر والتوزيع، سورية، 2005م.
- 16- زغلول سعد عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي - تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة وحتى قيام الفاطميين - منشأة المعارف، الإسكندرية، 1993م.
- 17- أبو زهرة محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية - في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية - دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).
- 18- الشكعة مصطفى: إسلام بلا مذاهب، ط11، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996م.
- 19- ضيف شوقي: عصر الدول والإمارات - الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان - ط1، دار المعارف، القاهرة، 1995م.
- 20- طعيمة صابر: دراسات في الفرق - الشيعة، الباطنية، الصوفية، الخوارج - مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، (د.ت).
- 21- طويل الطاهر: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط - منذ النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس - ط1، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، تلمسان، 2011م.
- 22- العبادي أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت).
- 23- _____: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت).

- 24- عبد الرزاق محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985م.
- 25- عبد الفتاح علي المغربي: الفرق الكلامية الإسلامية -مدخل ودراسات- ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995م.
- 26- عبد الكريم يوسف جودت: الأوضاع الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت).
- 27- _____: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1984م.
- 28- بن عميرة محمد: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985م.
- 29- الفيلاي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م.
- 30- بن قربة صالح: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- 31- لقبال موسى: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- 32- لومبار موريس: الإسلام في مجده الأول - من القرن 2 إلى القرن 5هـ/ 8-11م - تر: إسماعيل العربي، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1990م.
- 33- مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م.
- 34- _____: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، (د.ت).
- 35- _____: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، مصر، 2004م.
- 36- المليي مبارك محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ت).
- ثالثا- الدوريات:**

- 1- بلغراد محمد: الحركة الإباضية في تاهرت وسدراتة، مجلة الأصالة، مج16، ع41، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر، 2011م.
- 2- عباس إحسان: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، مجلة الأصالة، مج17، ع45، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر، 2011م.
- 3- يوسف سليمان دواودين: مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية وتركيزها، مجلة الأصالة، مج17، ع49-50، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر، 2011م.

رابعاً- الأطروحات الجامعية:

- 1- بوجلال ميروك، بوراس نبيل: التواصل التجاري والثقافي بين المغرب الأوسط وبلاد السودان (الدولة الرستمية أمودجا) -160هـ/ 777م- 296هـ/909م- مذكرة ليسانس في التاريخ الوسيط، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2011/ 2012م.
- 2- عليي محمد: الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين 2-3 هـ/ 8-9م، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2007/ 2008م.
- 3- عويطي صالح: مجتمع الواحات الليبية والتجارة الصحراوية- جبل نفوسة أمودجا- (من القرن 2هـ إلى القرن 5هـ)- مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2012/ 2013م.

الكشافات

- ابن زلغين: 43.
- ابن وردة: 42، 38، 36.
- أبو الموفق سعدوس بن عطية: 26.
- أبو اليقظان محمد بن أفلح: 37، 22.
- أبو بكر بن أفلح: 38، 37، 22، 21.
- أبو حاتم يوسف: 46، 43، 37، 23، 22.
- أبو عبد الله محمد بن بكر أبي بكر الفرستائي: 44.
- أبو عمار عبد الكافي: 44.
- أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري: 14، 36، 16.
- أبي عبد الله الشيعي: 23.
- إسماعيل بن عبيدة الله بن أبي المهاجر: 11.
- أفلح بن عبد الوهاب: 31، 28، 27، 21، 20.
- 32، 38، 40، 41.
- حسان بن النعمان: 10.
- خلف بن السمح: 28.
- سلمة بن سعد: 13.
- شكر بن صالح الكتامي: 26.
- عبد الرحمن بن حبيب: 16.
- عبد الرحمن بن رستم: 20، 19، 18، 17، 16.
- 26، 25، 31، 32، 36، 40، 46.
- عبد الله بن مسعود التجيني: 16.
- عبد الوهاب بن رستم: 17، 20، 26، 27، 28.
- 31، 35، 36، 38، 42.
- عبيد الله بن الحبحاب السلوي: 12، 13.
- عقبة بن نافع الفهري: 10.
- عكرمة مولى عبد الله بن العباس: 13.
- عمر بن الخطاب: 10، 26.
- عمر بن عبد العزيز: 12.
- عمران ابن مروان: 26.
- محمد بن الأشعث: 16.
- محمد بن عرفة: 38.
- محمد بن يزيد القرشي: 11.
- مسعود الأندلسي: 26.
- مصعب بن سدمان: 26.
- معاوية بن أبي سفيان: 10.
- مهدي النفوسي: 28، 43.
- موسى بن نصير: 11.
- ميسرة المطغري: 14.
- واصل بن عطاء: 27.
- يزيد بن أبي مسلم الثقفي: 12.
- يزيد بن فندين: 26، 27.
- اليقظان بن أبي اليقظان: 23، 37، 43، 46.

- طرابلس: 11، 38.	- إفريقية: 10، 19.
- طنجة: 11.	- الأندلس: 11.
- العراق: 19، 41.	- برقة: 10.
- غزة: 19.	- البصرة: 22، 35، 42.
- فاس: 35.	- بلاد السودان: 35.
- قابس: 16.	- بلاد المغرب: 10، 11، 13، 14، 16، 19، 33، 35.
- القيروان: 16، 19، 35، 36.	- تاجنة: 19.
- الكوفة: 41.	- تلمسان: 18.
- لماية: 17.	- تنس: 19.
- لواتة: 17، 28.	- تيهرت: 17، 18، 19، 20، 21، 22.
- المدية: 19.	23، 24، 25، 28، 32، 34، 35، 36، 37.
- مزاتة: 27.	38، 39، 40، 41، 42، 43، 45، 46.
- مطماطة: 18.	- جبل سوفجج: 17.
- المغرب الأقصى: 11.	- جبل نفوسة: 19، 28، 33، 35، 38.
- المغرب الأوسط: 10، 11، 14، 16، 17، 19،	- دمشق: 11.
31، 39.	- زناتة: 18، 28.
- نفزاوة: 17.	- زواغة: 18.
- هوارة: 18، 28.	- سجلماسة: 35.
- وادي ميزاب: 44.	- سدراتة: 27.
- وهران: 19.	- سرت: 16، 18.
	- الشلف: 19.
	- طينة: 25.

فهرس المحتويات

إهداء

شكر وعران

المقدمة أ-ح

الفصل التمهيدي: الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرستمية 09

الفصل الأول: الدولة الرستمية (سياسيا)

أولاً: قيام الدولة الرستمية 15

1- تأسيس الدولة 15

2- الامتداد الجغرافي 17

3- الأئمة الرستميون 18

ثانياً: نظام الدولة السياسي 22

1- نظام الحكم وطبيعته 22

2- القضاء 23

3- الولاية 24

4- بيت المال 24

5- الجيش 24

ثالثاً: التطورات السياسية 25

1- النكارية 25

2- الواصلية 26

3- تمرد قبيلة هواة 27

الفصل الثاني: انعكاس الجانب السياسي على الجانب الاقتصادي والاجتماعي

30	أولاً: انعكاس الجانب السياسي على الجانب الاقتصادي.....
30	1- مرحلة الازدهار(160- 258هـ / 777- 872م).....
36	2- مرحلة التراجع (258- 296هـ / 872- 909م).....
38	ثانياً: انعكاس الجانب السياسي على الجانب الاجتماعي.....
38	1- مرحلة الازدهار(160- 258هـ / 777- 872م).....
44	2- مرحلة التراجع (258- 296هـ / 872- 909م).....
48	الخاتمة.....
51	الملاحق.....
56	الوراقية.....
62	كشاف الأعلام.....
63	كشاف الأماكن.....
64	فهرس المحتويات.....